الشارع المغاربي
أسبوعية مستقلّة تحترم القارئ
العدد 298 - من الثلاثاء 15 إلى الاثنين 21 فيفري 2022 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com - البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

تحقيق

في توظيف النهضة «الباندية» والمهمّشين...

الاستقلالية ذريعة للطرفين :

سعيد يواجه «دولة القضاة»

في مناهج وفنون مغالطة وزارة المالية الشعب...

الافتتاحية

الأسوأ وراءنا... ولكن الأصعب أمامنا

بقلم :
حمادي بن جاءبالله

أثارته نجمات على انستغرام وفايسبوك:

فنانات وأطباء وفلاسفة ومفتي الديار التونسية يدعون إلى تعديل قانون تجميد البويضات

الافتتاحية

الأسوأ وراءنا ...ولكن الأصعب أمامنا

بقلم : حمادي بن جاءبالله

لا أراني في حاجة إلى التذكير بأن بادرة 25 جويلية 2021 كانت في يقيني بادرة وطنية أملاها واجب تحرير الوطن من براثن الاستعمار الداخلي بقيادة الإسلام السياسي بجميع كتائبه، الظاهر منها والمتخفي. وتبعا لذالك ،كان من الضروري أن يصدر المرسوم عدد117 المؤرخ في 22 سبتمبر 2021 لإدارة دواليب الدولة مؤقتا في انتظار عودة الحياة السياسية الوطنية إلى الاشتغال وفقا لما توجيه سنن دولة القانون والمؤسسات.

غير أنه تبين أن تلك العودة أبطات وغالت في الإبطاء بحكم ما أصاب دواليب الدولة ذاتها من فساد متعدد الوجوه، عميق الآثار، رأى رئيس الجمهورية أنه بامكانه ان يحاربه بمفرده في إطار ذلك الوضع الاستثنائي ذاته. وعن هذا التمشي الانفرادي كانت واضحات الراهن الوطني والتباساته معا.

فأما واضحاته فهي أن الأسوأ وراءنا، اذ ليس ثمة أضرّ بتونس من «الخوانجية»، فكرا ظلاميا وسلوكا ظالما. وما كان لتونسي عاقل أن ينتظر خيرا منهم، ولا ممّن دار في فلكهم، سواء عن جهل مقدس، او عن تقدير أخرق، أو عن انتهازية نكراء. وأما التباساته فلازمة عما بين المضمون الثوري الواضح لبادرة عيد الجمهورية، وبين منهج انجازه، بما يحف به من تردد وتعثر وبطء. وهذا البون بين المضمون والمنهج لم ينفك يتسع، حتى كاد الشك في سلامة التدبير الرئاسي يستبد بمؤيدي ذلك المضمون عامة، بل حتى بأكثر الناس حماسة له.

وقد انتهزت قوى الردة هذا التردد لتحاول استعادة انفاسها المنهكة بالتعويل على القوى الخارجية، خاصة منها تلك التي لا تعي حق الوعي مرارة الواقع التونسي، وتلك التي آلت على نفسها تعطيل السورة التونسية منذ بدايات عهد الاستقلال وإجهاض ثورة شباب مدرسة الجمهورية مطالبا بحقه في «الشغل والحرية والكرامة الوطنية» حتى لا تكون أنموذجا يهدد أصنام العرب والمسلمين جميعا بألافول، رغم أن تونس الثورية المندرجة في سنن العصر الحديث مذ مايقارب القرنين، لم تسع يوما لا إلى تصدير رؤاها الثورية أو انجازاتها الرائدة، فضلا عن أنها من أشد الدول التزاما بمبدأ عدم التدخل في شؤون الغير.

ولا ريب في أن مساعي العاملين على تحويل جلاد تونس، شعبا ودولة وتاريخا ورموزا وثقافة ومبادئ ومصالح إلى ضحية، باءت سلفا بالفشل ، ذلك أن ما يتناهى إلينا أحيانا من مظاهر عدم رضى بعض أصدقائنا في الخارج على ما يجري في تونس بعد 25 جويلية، أنما هو أولا من تردد التمشي الرئاسي بما يكتنفه من غموض أحيانا أولا، ومن ضعف أداء الديبلوماسية التونسية ثانيا، ثم هو ثالثا من ضرورات الاستهلاك الداخلي في تلك البلدان بحكم ما تشهده في «عصر العولمة» من تعاظم دور منظمات المجتمع المدني فيها زمن المواعيد الانتخابية. وليس مما يحتاج إلى تحقيق خلدوني للوقوف على ما أصبح لتلك التنظيمات من صولة في الرأي العام، وفي دهاليز الحكم، والأوساط الإعلامية، بفضل ما يغدق عليها من أموال لا يعلم مصادرها إلا الراسخون في السباحة في الماء العكر.

ولأمر كهذا كان ذلك الفشل الذريع الذي مني به الاسلام السياسي في تونس قضاء لا تدارك له ولا قيام له –سياسيا – من بعده، لان مقاومته لم تأت على ظهر دبابة، بل من صبر التونسي على غدره قادرا في مجرى حرصه على الجمع المتين بين واجب الحفاظ على سلامة الوطن أولا والالتزام بالارتقاء بالدولة الوطنية، دولة الاستقلال الى مصاف الدولة الوطنية الديمقراطية ثانيا، والتمكين للشعب من أسباب العيش الكريم ثالثا. لذلك كان 25 جويلية مندرجا اندراجا شبه تلقائي في مسيرة تونس نحو الارتقاء بذاتها شعبا ودولة ورموزا تاريخية وثقافية، كما كان هذيان «البناء القاعدي» و«اللجان الشعبية» غير ذي موضوع في تونس راهنا ومستقبلا.

ولا ينكر أحد ما كان لرئيس الجمهورية من حظ عارض بفضل تلك المسيرة، وما كان له الا ان يقتنص ما أتاحته تلك اللحظة التاريخية من فرصة لتلبية نداء الشعب المطالب باسترجاع حريته المسلوبة وسيادته المهدورة.

وما كان لأحد أن ينكر الدور الريادي الذي قامت به بعض الاحزاب الوطنية هوية وهوى في فضح الغدر الخوانجي وفي مقدمتها خاصة الحزب الحر الدستوري التونسي وحزب الوطنين الديمقراطيين وحزب التيار الديمقراطي دون ان ننسى دور المثقفين والصحافيين والكثير من منظمات المجتمع المدني يتقدمها الاتحاد العام التونسي للشغل.فجميع هؤلاء مدينون لرئيس الدولة بانه اصغى لندائهم وأحسن الإصغاء، تماما مثلما آن رئيس الدولة مدين لهؤلاء جميعا بانتضاج شروط إعلان بادرته التاريخية وبما لاقته من صدى واسع في جميع أرجاء الوطن..

لذلك كان المنهج السليم الكفيل بتحقيق مضامين بادرة 25 جويلية يقضي ضرورة بتفادي كل اشكال التفرد بالحكم واتقاء كل إشكال توهم القدرة المنفردة –مهما كان أمرها– على تخليص تونس من مصاعبها الراهنة المستعصية بذاتها حتى على مجرد الحصر . فما من مجال من مجلات الحياة الوطنية إلا وهو منكوب بفعل عشر سنوات من التخريب.ويوجب الإصلاح المعمق الشامل إرادة جماعية فولاذية تعمل بإيمان الأنبياء وصبر المجاهدين في إطار وحدة وطنية، لا ولاء لها الا لتونس، ولتونس وحدها .

وتقضي الحكمة السياسة أن ينطلق ذلك الإصلاح المعمق الشامل بتجديد بناء جميع مؤسسات دولة القانون والمؤسسات بدءا بانتخاب مجلس الشعب انتخابا مشفا نزيها تنتج عنه أغلبية قادرة على الحكم وبعث الهيئات الدستورية التي يراها صالحة لتأمين استئناف مسيرة الانتقال الديمقراطي وتحديد نظام الحكم الذي يبدو له الاجدر بالاتباع، حتى اذا استرجعت الدولة هيبتها أمكن الشروع في الاصلاحات على بصيرة من واقع الامر.

وعندها فقط يمكن إصلاح الاقتصاد والصحة والمالية العمومية والقضاء والتربية والبحث العلمي والثقافة... وعندها فقط يمكن محاسبة الفاسدين حيث ما وجدوا ومحاكمة أصحاب المال الفاسد ومدبري الاغتيالات السياسية والضالعين في جرائم تسفير أبنائنا وبناتنا الى بؤر التوتر وناشري الفكر الإرهابي في صفوف شبابنا وباعثي التنظيمات الإرهابية السرية ...قائمة طويلة من المحاكمات تستدعي –في الاقل –بعض السنين ذلك ان أهم ما فيها ضمان أكثر ما يمكن من شروط المصداقية حتى نقطع على اعداء تونس في الداخل قبل الخارج فرص التظلم وتباكي الضحية استعطافا يقوم مقام شرط أمكان عودتهم الى الحياة السياسية ولو بعد حين.

ولما كان الأمر كذلك –اجمالا – فإنه يصعب فهم ما اتخذ من اجراءات في اتجاه القضاء في مرحلة من أدق مراحل تاريخنا المعاصر نعول عليه فيها ليزهق الباطل ويظهر الحق. لآادين احدا ولا أبرئ أحدا، ورأيي في القضاء من رأي هيئة الدفاع عن الشهيدين بلعيد والبراهمي حتى تأتيني الأنوار الساطعة من مصالح دولتي. ولا ارى انه من الحكمة بحال من الاحوال ان يقع التشهير بالقضاء عموما –حتى لو تعثر فعلا عدد غير محدد من هيئته – بل إن الواجب يقضي بإدانة قضاة بشخوصهم، وباتخاذ التدابير ضدهم فرادى، حتي حين يعسر مثل هذا الإجراء كما تبين ذلك أخيرا من خلال تصريحات هيئة الدفاع عن الشهيدين ...وعلى ذلك فليقس ما لم نقل في رجال الأعمال والصناعيين وجميع من لم يتورط –لامن قريب ولا من بعيد – في «تجويع الشعب» او «نهب أمواله» فكل تعميم تعتيم، لا يلحق الضرّ بشخص، بل بقطاع مهني برمته ...

ومما يشهد في جلاء ما بعده جلا ء لسلامة التمشي الذي نقترحه ما سجل من فاعلية غير مسبوقة –كما وكيفا – لأنشطة قواتنا المسلحة في مقاومة التهريب والتخزين العشوائي للمضاربة الخ. وفي ذلك إشارة جلية الى انه بمجرد سقوط الخوانجية بدأت المراجعات وعما قليل تبدأ التوبات والمصارحات بمجرد أن يشعر الناس بأن زمن «البيليك» و«التتريك» و«الكلالة» قد انتهى.

غير انه من شروط حصول ذلك الوعي باستحالة عودة زمن تخريب الوطن يوجب إجراءات سهلة تقنع المواطن بان تونس عادت الى موضعها من التاريخ بعد عشر سنوات من التيه والاغتراب. فليس من الممكن محاربة الإرهاب وثقافة الحقد ومدارس القرضاوي الارهابي بيننا. ولا بد في هذا الموضع من الاشادة بما تبذله السيدة موسى وزيرة الاسرة المراة والطفولة وكبار السن من جهود متواصلة في مقاومة الغش والفوضى بعث رياض الاطفال لحفظ حق أبنائنا وبناتنا في تربية سليمة.

ونشر الوعي بان الأسوأ وراءنا لاينفصل عن نشر الوعي بأن الأصعب أمامنا.لذلك كان على كل وطني ان ينهض لواجبه المهني يوجب أيضا أن تقوم الأحزاب السياسية بنشره في صفوف التونسيين مع تركيز خاص على تفسير ما جرى خلال العشرية المنصرمة حتى وجدنا أنفسنا في وضع لا نحسد عليه. وحتى لا تتكرر أخطاء عشرية البؤس كان على الأحزاب السياسية ان تتبارى في إقناع الكتلة الانتخابية الصامتة التي تشكل حوالي 46 في المائة من الكتلة الانتخابية الجملية من القيام لواجبها في الموعد الانتخابي القريب اذ ليس ثمة ما يدعو موضوعيا الى تأجيل الانتخابات الى 17 ديسمبر المقب خاصة وان اوضاعنالاالمالية اليوم في امس الحاجة الى معالجة حكيمة تشترك فيها الحكومة من المنظمات المهنية القائمة يتقدمها اتحاد الشغالين واتحاد الاعراف. فليس أضمن لمستقبلنا ولتحررنا من الاستعمار الداخلي من اتخاذ ذات المهج الذي اتبعناه أمس في نضالنا – بقيادة بورقيبة وحشا–ضد الاستعمار الخارجي كما انه ليس اجدى من تلك الوحدة الوطنية الحية لتحقيق آمال شعبنا عامة وشباب مدرسة الجمهورية خاصة في انداز حقه في «اشغل والحرية والكرامة الوطنية».

سعيد في اول زيارة خارجية بعد 25 جويلية

من المنتظر ان يشارك رئيس الجمهورية قيس سعيد في القمة الاوروبية الافريقية التي ستنتظم في العاصمة البلجيكية بروكسال يومي 17 و18 فيفري الجاري لتكون بذلك اول زيارة له الى الخارج منذ 25 جويلية تاريخ تفعيله الفصل 80 من الدستور ودخول البلاد فترة التدابير الاستثنائية.

المشاركة في القمة معلومة كشفها لـ"الشارع المغاربي" مصدر موثوق به قال ان رئاسة الجمهورية "اكدت ان الرئيس قيس سعيد سيمثل تونس في هذه القمة".

ولا يُستبعد ان يتراجع سعيد في اللحظات الاخيرة عن المشاركة مثلما حدث في 3 مناسبات على الاقل منها المشاركة في منتدى دافوس. ووجهت له انتقادات بسبب ما سمي بـ" كرسي تونس الشاغر" في اهم المحافل الدولية.

وكان الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون قد أعلن أن القمة التي تعقد في إطار الرئاسة الفرنسية للاتحاد الأوروبي ستتمحور حول "إصلاح جذري" للعلاقة بين القارتين "المتعَبَة قليلاً". وأكدت رئيسة المفوضية الأوروبية أورسولا فون دير لاين منذ ايام أن قمة بروكسال ستشهد تعميق الشراكة الأوروبية مع أفريقيا.

وستشهد القمة مشاركة رؤساء دول ورؤساء حكومات وسيوضع على طاولة النقاشات عدد من الملفات في جدول اعمال بـ7 محاور كشف عنها الاتحاد الاوروبي عبر موقعه الرسمي وتضم تمويل النمو وبحث استثمارات طموحة بين القارتين والسلام والامن والحكم ودعم القطاع الخاص والتكامل الاقتصادي والانظمة الصحية وانتاج اللقاحات وتغير المناخ.

ويعتبر خصوم سعيد ان البلاد تعيش في عزلة دولية بسبب مسار 25 جويلية. وحالة الشغور التي تعرفها عدد من البعثات

الدبلوماسية تجلت في شغورات على رأس 14 بعثة دبلوماسية وعلى مستوى 6 قنصليات منذ اشهر وبعضها منذ ما يقارب السنة وسط استغراب من تواصل هذا الفراغ غير المفهوم.

وفد برلماني أوروبي

زيارة وفد من البرلمان الاوروبي وظفت بشكل خبيث من قبل عدد من معارضي مسار 25 جويلية. اول من تحدث عن الزيارة هو الناشط في ما يسمى بمبادرة "مواطنون ضد الانقلاب" جوهر بن مبارك خلال الوقفة الاحتجاجية التي نظمتها يوم اول امس الاحد بشارع محمد الخامس وسط العاصمة دفاعا عن "استقلالية القضاء". وقال بن مبارك ان البرلمان سيعقد جلسة عامة بحضور وفد من البرلمان الاوروبي.

وكذب مصدر مسؤول حضور الوفد جلسة في البرلمان مستغربا ترويج مثل "هذه المغالطة" التي قال انها شوهت برنامج الزيارة.

في سياق متصل كشف مصدر مطلع لـ" الشارع المغاربي" ان الوفد يضم 15 نائبا وأن الزيارة ستكون في غضون الاسبوعين القادمين.

من جهته قال مصدر دبلوماسي لـ"الشارع المغاربي" انه تم ترتيب ارسال بعثة تقص برلمانية ضمن الاتحاد الدولي للبرلمانيين لـ"معاينة الاوضاع والتطورات التي تعيشها البلاد منذ يوم 25 جويلية 2021" وانه ستكون للوفد لقاءات وصفها المصدر بالمتنوعة وشدد على أنها ستشمل وزراء في حكومة بودن ونوابا بالبرلمان المجمدة اشغاله علاوة على رئيسه راشد الغنوشي بالاضافة الى ممثلين عن وسائل الاعلام والمنظمات الوطنية والنقابات والمجتمع المدني.

بداية التحقيقات

تم يوم امس الاثنين الاستماع الى هيئة الدفاع عن الشهيدين شكري بلعيد ومحمد البراهمي من قبل الفرقة المركزية للابحاث للحرس الوطني بالعوينة بخصوص ما يسمى بالجهاز السري المالي لرئيس حركة النهضة راشد الغنوشي، حسب ما اكد لـ"الشارع المغاربي" مصدر من الهيئة قال في سياق متصل ان الهيئة قدمت مؤيدات كجهة شاكية .

ولفت المصدر الى ان الاستماع هو بداية مسار ابرز ان الاستماعات فيه ستشمل كل الاطراف التي تم ذكرها في الندوة الصحفية المنعقدة منذ أيام. وتأكد لـ"الشارع المغاربي" ان عددا من الاسماء المذكورة في الندوة متواجد في الخارج.

وكانت الهيئة قد قدمت جملة مما اسمته أدلة على "الجهاز السري المالي للغنوشي" من ذلك ان "رجل اعمال يدعى ناجح الحاج لطيف هو من يدير اموال رئيس حركة النهضة" وانه "تلقى تمويلات مباشرة من الديوان الاميري القطري" قالت الهيئة "انها تصل بعد ذلك الى الغنوشي نقدا" وقدرت الهيئة قيمتها بـ65 مليون دولار.

اضافة الى ملف التمويلات، تحدثت الهيئة عن "ملف خطير للتجسس" ابرزت ان "عملية تنصت كشفت عن تفاصيله" وأن "مدير عام شركة اوريدو تونس يدير غرفة خصصت للتجسس على قضاة وامنيين وسياسيين" وأن "التقارير كانت تصل للغنوشي بشكل دوري"..

زووم

أمين محفوظ يطرح معضلة الموروث الديني في إرساء دولة القانون

خالد النوري

كان استاذ القانون الدستوري أمين محفوظ ولا يزال من ابرز الداعمين لتفعيل الفصل 80 من الدستور سواء في عهد الرئيس الراحل الباجي قائد السبسي أو في عهد الرئيس قيس سعيد لمجابهة ازمة الحكم التي ظلت تعاني منها تونس خلال العشرية الاخيرة. كما عرف بأنه من اكبر المدافعين عن ارساء دولة القانون.

واعتبر محفوظ أن الفصل 80 كان هدية من المنظومة التي حكمت منذ سنة 2011 وانه مثل نافذة أعطت جرعة أوكسيجين للحياة السياسية مؤكدة ان المنظومة التي تم إرساؤها كانت مغلقة إلى درجة انه لا يمكن فعل اي شيء.

واوضح محفوظ لدى حضوره يوم أول أمس الاحد في برنامج "جاوب حمزة" على اذاعة "موزاييك" ان المشكل يكمن قبل النص في الموروث الثقافي مؤكدا انه كان يعلم مسبقا بأن الاغلبية في المجلس التأسيسي لن تكون مع مشروع دولة القانون باعتبار أن "ذلك هو شعبنا وموروثه الثقافي".

وقال في هذا الاطار "لنكن واقعيين فمن يؤمنون بدولة القانون مازالوا اقلية لان الديمقراطية تقوم اولا واساسا على الحرية وللاسف الناس لا يؤمنون بالحرية وتقوم كذلك على المساواة والناس لا يؤمنون بالمساواة وتقوم كذلك على استقلال الوظيفة القضائية وهذا لم نستنبطه بعد ثم ان القضاء نفسه لم يكن في مستوى السلطة لانه لو كان سلطة لحكم بعدم دستورية العديد من القوانين السالبة للحرية والتي تعكس موروثا ثقافيا متخلفا..".

وخاطب محفوظ القضاء قائلا: "اذا كنت تريد ان تكون سلطة فكن في مستوى دولة القانون واذا كان النص سيئا فبادر أنت بالفكر".

وأكد انه شاهد بعض القضاة على صفحاتهم بمواقع التواصل الاجتماعي يقولون انه اذا تصادم نص القرآن مع الدستور يتم تغليب القرآن ملاحظا أن هذا ليس بالجديد وبأنه لا يمكن بهذا بناء دولة القانون.

وبين أن المسألة الدينية بالنسبة اليه ينبغي ان تبقى مسألة

شخصية مشيرا الى ان الدولة التونسية خسرت العديد من اليهود نظرا لعدم شعورهم بالامان مقدما كمثال على ذلك اليهودي لوسيان ميني الذي قال انه عاد من فرنسا سنة 1947 لانجاز مصحة بصفاقس مؤكدا أن الحرية الآن لم تعد متوفرة مبرزا انه تكون هناك جاذبية عندما يكون الفضاء حرا .

واضاف ان الاكثر من ذلك ان الامر بلغ بالقضاء في صفاقس الى حد التوجه الى منازل مواطنين افارقة للومهم على شرب الخمر في شهر رمضان .

واشار الى ان الدستور التونسي يُستهل بالبسملة وينتهي بعبارة والله ولي التوفيق مذكرا بأنه تم الحفاظ أيضا على الفصل الاول معتبرا انه يثير الجدل حول مسألة "دين الدولة".

كما انتقد الابقاء على الفصل 6 الذي ينص على ان الدولة تلتزم بحماية المقدسات والفصل 39 حول الهوية العربية الاسلامية مستنكرا التخلي عن اليهود التونسيين او غيرهم من اصحاب الديانات الاخرى وتدخل الدولة في معتقدات الاشخاص.

وشدد على ان ذلك لا يعني ان الدولة ضد الدين وعلى ان دولة القانون تحمي الاديان مذكرا بأن المسلمين تمكنوا من بناء المساجد في امريكا وغيرها بفضل دولة القانون.

واعتبر ان من اسماهم بتجار الدين هم الذين يسمحون باعتماد الموروث الثقافي

مؤكدا ان الاستعمار الفرنسي لم يأت صدفة وانما نتيجة الموروث الثقافي .

واوضح محفوظ ان مشكلته هي مع الجهل المقدس وليس مع الدين معتبرا ان المنظومة التربوية كارثية وأنها ساهمت في تفشي مثل هذا الجهل مذكرا بانه كان لتونس علماء و بأن محمود المسعدي على سبيل المثال كان مفكرا لأنه درس صلب المنظومة الفرنسية للتعليم.

واشار الى ان يهود صفاقس مسقط رأسه شاركوا بشكل كبير في نهضة الجهة والى ان ملعب الطيب المهيري من تشييدهم مؤكدا ان الانجاز الوحيد للدولة هو اطلاق اسم الطيب المهيري عليه داعيا الى اعادة تسميته القديمة.

وقال محفوظ ان المسار الذي انطلق في تونس سنة 2011 لم يذهب في الاتجاه الصحيح مذكرا بأنه كان شخصيا ضد خيار المجلس الوطني التأسيسي وناقدا للاليات المعتمدة والمضامين والخيارات التي قادت الى ما تردت فيه البلاد من وضعية كارثية.

وأضاف ان حركة النهضة كانت على رأس اطراف حاكمة سيطرت عليها الانتهازية والغنمية وانها لا تؤمن بالديمقراطية وتسعى لتأسيس دولة دينية .

واكد انه لم يكن هناك امل في ارساء الديمقراطية بتونس في ظل منظومة الحكم التي كانت سائدة رغم الصورة التي كانت توحي بذلك مشيرة الى ان نتائج الانتخابات كانت مزوّرة والى ان المؤسسات كانت تعطي انطباعا بحياة سياسية ديمقراطية والى أنها في الواقع افضت الى سلطة تنفيذية معطلة والى عدالة غائبة.

واعتبر أن الفشل كان يتجلى في السلطة التشريعية وفي منظومة العدالة ملاحظا ان تجميد البرلمان كان خيارا منقوصا وانه اكتمل بحل المجلس الأعلى للقضاء.

الاستقلالية ذريعة للطرفين :

سعيد يواجه «دولة القضاة»

معز زيود

احتدّ الصراع خلال الأيّام الأخيرة بين رئيس الجمهوريّة قيس سعيّد وهياكل القضاء، بعد إقدامه على تفعيل تعهّده بحلّ المجلس الأعلى للقضاء وإصدار مرسوم لبديله المؤقّت. فهل أنّ صراع كسر العظام هذا تحرّكه مساعي الدفاع عن استقلاليّة السلطة القضائيّة أم أنّه لا يأخذ في اعتباره إلّا الحسابات والمصالح الذاتيّة والفئويّة؟.

رغم كلّ الأهوال التي عايشتها البلاد على امتداد ما يزيد عن عشرة أعوام بعد 14 جانفي ورغم كافّة الاتّهامات الموجّهة بين الفترة والأخرى إلى الأجهزة القضائيّة وبعض منظوريها بالسقوط في أوحال الفساد أو الخضوع الطيّع للابتزاز السياسي والحزبي، ورغم انكشاف عدد من الفضائح القضائيّة وشبهات الجرائم الجنائيّة التي حامت حول بعض القضاة قبل 25 جويلية وبعده، فإنّ التونسيّين لم يسمعوا تقريبًا أصواتا صارخة للقضاة كما حدث خلال الأيّام الأخيرة.

كان من المفروض إذن أن يكون القضاء جزءا من الحلّ لمشاكل البلاد شبه المستعصية، باعتباره مؤتمنا على إقامة العدل، غير أنّه بات عمليّا جزءا محوريّا من المشكل وأحد مسبّبي النزيف الذي أصاب المؤسّسات السياديّة للدولة التونسيّة. وبما أنّه ليس كأيّ قطاع آخر، كان يُفترض إصلاح القضاء وصون بعض أجنحته من السقوط تحت راية لوبيّات الفساد أو الخنوع لمشيئة بعض الأحزاب وتعليماتها. والنتيجة أنّ القضاء يدفع اليوم كما البلاد برمّتها ما نخرته من أهوال منذ فجر الثورة حين استكان الكثير من القضاة للإجراءات التأديبيّة والإقصائيّة لوزير العدل الأسبق نور الدين البحيري الذي فرض آنذاك التقاعد الوجوبي ضدّ ما يزيد عن 90 قاضيا، مستخدمًا بذلك سياسة الترهيب والترغيب. وهو ما شكّل استهدافا معلوما للمؤسّسة القضائيّة وأوغل ضرب استقلاليّتها للحساب الشخصي والحزبي، دون أن تُقابله مقاومة تُذكر من الجسد القضائي كالتي نراها اليوم إزاء الإجراءات "الزجريّة" التي اتّخذها مؤخّرا رئيس الجمهوريّة قيس سعيّد. من المهمّ حتّى تتّضح الصورة أن نستعرض مواقف أهمّ الهياكل القضائيّة والممثّلة للقضاة، فضلا عن الوقوف بعد ذلك عند خيارات رئيس الجمهوريّة بهذا الخصوص.

مواقف منتظرة

بدا من المنتظر والطبيعي أن يُعلن المجلس الأعلى للقضاء بالأمس رفضه لقرار حلّه ولما تضمّنه المرسوم الرئاسي المتعلّق بإحداث مجلس مؤقّت للقضاء. ومع ذلك بدا غريبا أن يتحدّث المجلس المنحلّ عن أنّ ما جاء به المرسوم المذكور "يعدّ اعتداء بيّنا على استقلاليّة القضاة وتراجعا خطيرا عن المكتسبات الدستوريّة والتشريعيّة التي سبق إقرارها منذ ستينات وسبعينات القرن الماضي". وكأنّ القضاء التونسي كان مستقلّا قبل عام 2011 أو حتّى بعده!. ومن المفارقات أنّ المجلس تذكّر اليوم فقط تعمّد رئيس الجمهوريّة توظيف الفصل 80 من الدستور والانحراف في تطبيقه، وأنّ المجلس المؤقّت "معدوم ولا أثر له دستوريّا". لن نتوقّف طبعا عند تفصيلات التأويل القانوني الذي ليس من اختصاصنا، لاسيما أنّ القضيّة سياسيّة بالأساس.

يوسف بوزاخر رئيس المجلس الأعلى للقضاء المُنحلّ بمقتضى قرار رئاسي انفتحت شهيّته للكلام اليوم لا فقط بعد أن شطرت الفأس الرأس، ولكن خصوصا بعد أن التزم لفترة طويلة حيادا مفرطا في اتّخاذ ما ينبغي من إجراءات إزاء القضاة الذين تأبّطت بهم شبهات الانحراف والفساد. ومع ذلك كان القاضي الرئيس بوزاخر ذكيّا هذه المرّة بكشفه "مخالفة مرسوم سعيّد حتّى لأحكام الأمر 117 الذي استند إليه باعتبار أنّه يتعلق بتدابير استثنائيّة للسلطة التنفيذيّة والسلطة التشريعيّة وأنه من قبيل الإصلاحات السياسية التي تؤطّرها أحكام الفصل 22 من الأمر المذكور وينصّ على إجراء ما لم يتمّ من مشاورات واستشارات والتشاركية في القرار...

ام المعارك كما تبدو تُجسّدها حدّة الصراع الماثل بين رئيس الجمهوريّة والهياكل الممثّلة للقضاة أو بعض فئاتهم. في هذا الصدد ينبغي انتظار كيفيّة التعاطي في المحاكم من داخل الجسم القضائي ومن السلطة إزاء قرار "جمعيّة القضاة الشبان" "القاضي" بالدخول في إضراب مفتوح واعتبار المرسوم الرئاسي من قبيل "المعدوم" و"غير الشرعي" و"اتّخاذ أقصى أشكال التحرّك الممكنة لمواجهته".

هذا الردّ القويّ جرّاء "الشوكة التي كُسرت" جاء أيضا في ثنايا اللهجة الشديدة لبيان جمعيّة القضاة التي لا تزال تُدافع عن أنّ المجلس الأعلى للقضاء بتركيبته الحالية هو "المؤسّسة الدستوريّة الشرعيّة الوحيدة الممثلة للسلطة القضائيّة"، باعتبار أنّ "السلطة التأسيسيّة الأصليّة هي من أحدثت المجلس الأعلى للقضاء كمؤسّسة دستوريّة"، داعيةً المجلس المنحلّ إلى "مواصلة الاضطلاع بمهامه"، وكأنّ المجلس المذكور سيُمارس في السماء ما فرّط فيه من مهام حين كانت أرجله على الأرض.

من حقّ هذه الهياكل القضائيّة طبعا الحفاظ على ماء الوجه في هذه المعركة ، على الرغم من أنّ معركة استقلاليّة القضاء التونسي كان يُفترض أن تلتزم بتونسيّته، وليس برفع لافتات باللغة الإنجليزيّة خلال الوقفات الاحتجاجيّة موجّهة إلى الخارج عملا بقانون عام 1972 الخاص بالشركات المصدّرة كليّا، وانتشاءً بتعليق الناطق باسم وزارة الخارجيّة الأمريكيّة المعبّر عن قلق بلاده حيال حلّ المجلس الأعلى للقضاء.

مع ذلك ينبغي الإشارة إلى أنّ مواقف القضاة ليست متجانسة كليّا، بدليل الاستقالات الخمس التي ضربت جمعيّة القضاة بعد المجلس الأعلى المنحل. وفي كلّ الأحوال لا يمسّ هذا الأمر من وحدة القضاة أو من شأنه أن يدعو إلى التشهير بهذه الفئة على حساب تلك، لكنّه يؤشّر أيضا لوجود خلافات قائمة بينهم في توصيفهم لواقع القضاء في البلاد.

أوهام الاستقلاليّة

هل أن ما يدور الآن يعكس فعلا معركة من أجل الاستقلالية، مثلما جاء في كافّة بيانات الهياكل القضائيّة؟ وهل تهمّ مسألة الاستقلاليّة حقّا المجلس الأعلى للقضاء وجمعيّة القضاة كهولا وشبّانا؟ وفي المقابل، هل أنّ رئيس الجمهوريّة مهموم هو الآخر بهذه المسألة؟ وهل الصراع القائم حاليا هو فعلا من أجل الاستقلاليّة؟ صراحة نشكّ في ذلك، بل ونشكّ في الأمر كثيرا.

معلوم أنّ لدى الرئيس قيس سعيّد رغبة موغلة في المسك بكلّ السلطات والصلاحيّات من دون حسيب أو رقيب وفي حظر تامّ، بمقتضى ما جاء في الأمر عدد 117 المؤرّخ في 22 سبتمبر 2021، لأيّ إمكانيّة للطعن في قراراته. فليس سرّا أنّ رئيس الدولة لا ثقة له في أيّ شخص لا يُدين له بالولاء التّام أو ليس هو من عيّنه. وهو ما يُعدّ طبعا إشكالا حقيقيّا تعيشه البلاد في عهد الرئيس سعيّد. ومع ذلك يبدو على الأرجح أن ما يحرّك رئيس الدولة لا علاقة له بمسألة الاستقلالية، على خلاف ما جاء في المرسوم الجديد من أنّ المجلس الأعلى المؤقت للقضاء "يتمتّع بالاستقلاليّة الوظيفيّة والإداريّة والماليّة". وفي هذا المضمار، لم يجانب "اتّحاد قضاة محكمة المحاسبات" الصواب حين اعتبر أنّ "مرسوم المجلس الأعلى المؤقّت للقضاء تدخّل مباشر في السلطة القضائيّة وضغط على القضاة".

فمن الواضح أنّ ما دفع رئيس الجمهوريّة إلى اتخاذ قراراته الأخيرة هو أنّ القضاء لم يتفاعل نهائيّا مع دعواته المتكرّرة إلى محاسبة الفساد والفاسدين. أمر يُشكّل إحراجًا سياسيّا كبيرا لأعلى هرم السلطة باعتبار أنّ من يجمع بين يديه كلّ السلطات لا يحقّ له سياسيّا العجز عن الإصلاح والإخفاق في المحاسبة التي كثيرا ما تعهّد بها، في ظلّ تصاعد حدّة الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعية المترهّلة. وأصلا من طبيعة الأمور أنّ من تُوجّه إليه تُهم الخضوع لبعض لوبيّات الفساد لا يمكن أن يقوم هو نفسه بمحاربة هذه الآفة المستشرية.

في المقابل، لا يبدو مطلقا أنّ مسألة استقلاليّة القضاء تهمّ معظم القضاة الغاضبين اليوم أو على الأقل لا تهمّ المتظاهرين منهم بالغضب والملوّحين بالتمرّد. فقد أمست سرديّة الاستقلاليّة مجرّد شعار للتسويق الداخلي والخارجي. هل يمكن مثلا توصيف بعض القضاة بالمستقلّين حين يحاكمون الصحفيّين على آرائهم بمقتضى فصول من المجلة الجزائيّة ويتغاضون عن المرسومين 115 و116 لسنة 2011؟! وألمْ يتعوّد قضاة كثر على اعتبار ما يصدر عن أجهزة الأمن الممثّلة في باحث البداية بمثابة قرآن منزّل، حتّى لو كانت هناك أخطاء شكليّة فادحة مثل عدم العمل بمقتضيات القانون عدد 5 لسنة 2016 الذي يخصّ إجراءات بحث البداية والاحتفاظ بذوي الشبهة.

ارتباك وتوجّس

الواضح أنّ الجسم القضائي الذي ما انفكّ هذه الأيّام يُزبد ويتوعّد إنّما يعيش حالة مفرطة من الارتباك والتخبّط، لاسيما في ظلّ إدراك جلّ القضاة وهياكلهم أنّه من الصعب جدّا أن يتراجع الرئيس سعيّد عن قراراته، بل وقد يدفع في اتّجاه اتّخاذ إجراءات تأديبيّة كالاقتطاع من رواتب المضربين عن العمل، مثلما جرى حيال قطاعات أخرى، وهي إجراءات عجزت كلّ الحكومات السابقة عن إقرارها.

وفي حقيقة الأمر، لا يُفترض أن تنزع أيّ دولة إلى كسر شوكة قضاتها، بل عليها أن تحفظ كرامتهم وأن تُجزي لهم العطاء المستحقّ حتّى لا يخضعوا فريسة لابتزاز بعض الأحزاب ولا يسقطوا في الممارسات المنافية للقانون والأخلاق، غير أنّ المناخ غير السليم لهذا القطاع منذ أعوام طويلة لا يُنبئ بذلك. لنُصغي مثلا لما يردّده المحامون عنهم: قضاة تونس طغوْا وتجبّروا. والكثير منهم لم يفهموا، ولم يستوعبوا، ولم يفقهوا درس الثورة. لم يستسيغوا أنّه لا شيء فوق النقد، لا السلطة التنفيذيّة بأعتى مؤسّساتها كرئاسة الجمهوريّة والمؤسّسة العسكريّة، فكيف لهم أن يحافظوا على بهرج ما يُنعت بـ"دولة القضاة". لنتحدّث هنا بصراحة: المحامون مثلا استطابوا "استهداف" القضاة. عميد المحامين نفسه أعرب ضمنيّا عن تحمّسه لـ"تنظيف البيت الداخلي للقضاة" ومساندة سعي رئيس الجمهوريّة إلى "تطهير القضاء واجتثاث الفساد من هذه المؤسّسة"، لماذا يا ترى؟ لأنّ المحامين عانوا الأمرّين من ممارسات من كانوا مُلزمين في أحيان كثيرة بالاستكانة لهم، ولأنّهم يعرفون جيّدا واقع القضاء التونسي ويدركون أنّ الكثير من القضاة لا يهمّهم تحقيق العدالة بقدر ما تُحدّد المصالح وجدانهم، ولأنّهم يعرفون حقّ المعرفة تورّط العديد منهم في فساد مشطّ، والأمثلة متعدّدة، واغتياضهم للتنصيص في الدستور "المعلّق" (الفصل 105 تحديدا) على أنّ المحاماة شريكة لهم في إقامة العدل...

هكذا إذن تكاد تنحصر كلّ الخيارات اليوم بين السيّء والأسوأ. بين مجلس مؤقّت موال لرئيس الجمهوريّة أو مجلس أعرج ينتشي من يتوهّمون امتلاكه بالحفاظ على مؤسّسة قضائيّة مريضة تنخر أوصالها شتّى اللوبيّات والقوى والمصالح باسم "سلطة أصليّة" كادت تُدمّر كلّ المكتسبات. والحال أنّ معركة استقلاليّة القضاء هي معركة الجميع ولصالح الجميع، لا مجرّد اختصاص للقضاة، ولئن بدت للأسف معركة مؤجّلة حتّى ينتصر العضو السليم ويستوي العود الأعوج ويكفّ عن ادّعاء الصفاء...

تقرير رسمي: رفع الدعم يحد من الانفاق الغذائي للفقراء

كريمة السعداوي

أصدر نهاية الأسبوع الفارط المعهد التونسي للقدرة التنافسية والدراسات الكمية دراسة استشرافية حول سيناريوهات رفع الدعم عن المواد الغذائية.

وبين المعهد ان الدراسة تقيّم الأثر الاقتصادي المتوقع لاستهداف دعم المواد الغذائية. وللأخذ بجميع التفاعلات الاقتصادية (المباشرة وغير المباشرة) لهذا الإصلاح، تم تطوير نموذج توازن عام واستخدامه كأداة محاكاة لتحليل سيناريو الاستهداف، سيناريو سريع (علاج بالصدمة) وسيناريو بديل أكثر امتدادا في الزمن. وتظهر نتائج المحاكاة - حسب الدراسة - بالنسبة للسيناريو الأول أنه وبحلول عام 2030، فإن الآثار التراكمية على الناتج المحلي لا تتعافى إلا في نهاية الفترة، ويعكس هذا شدة الصدمة الأولية على الطلب، لا فقط بالنسبة لفئات الدخل المنخفض، ولكن أيضا بالنسبة للفئات الأخرى غير المستفيدة من الدخل التعويضي.

من ناحية أخرى، وبالنظر إلى التلاحق بين الأسعار والأجور، فإن الإصلاح يميل أيضا إلى إعاقة الأنشطة التي تشغل اعدادا كبيرة من اليد العاملة نسبيًا عن طريق زيادة التكاليف لا سيما بالنسبة للأجور المنخفضة حيث تكون نسبة الإنفاق الغذائي مرتفعة. ونتيجة لذلك يمكن أن تكون للإصلاح آثار سلبية غير مباشرة على التشغيل. كما تظهر المحاكاة البديلة أن الاستهداف التدريجي أفضل من العلاج بالصدمة لأنه يقلل الاضطرابات الأولية في العرض والطلب.

وفي المجمل، فإن عنصرين يحددان بقوة النتائج المتوقعة. يتعلق الأول بحدة التلاحق بين الأسعار والأجور حيث إنه كلما كان هذا التلاحق أقوى كلما لوحظ تحول هيكلي نحو نموذج إنتاج أقل كثافة بالنسبة لليد العاملة. ويتعلق العنصر الثاني بالاستخدام الأمثل للهامش الضريبي الناتج عن الإصلاح. فإذا تم تخصيص هذا الهامش للاستثمار العام في الخدمات الأساسية (التعليم، الصحة، الخ) أو في خدمات أخرى لتعزيز الإنتاجية، فمن المرجح أن يولد ذلك فائضًا في الدخل ويدعم القدرة الشرائية خاصة بالنسبة للفئات المحتمل استبعادها من نظام تعويض الدخل. ومن شأن ذلك أن يخفّف من التأثير السلبي للاستهداف على استهلاك وادخار تلك الفئات (الطبقات الوسطى) ويساعد بالتالي على استعجال التأثيرات الديناميكية الإيجابية على الادخار العمومي والناتج المحلي.

وكانت وزارة المالية قد كشفت في وثيقة «إطار الميزانية متوسط المدى» ضمن ملحق قانون المالية لسنة 2022، نشرتها الثلاثاء 8 فيفري الجاري، عن برنامج الإصلاحات في مجال السياسات المالية والجبائية على المدين القصير والمتوسط للفترة 2022 /2024، ويتعلق بأربعة مجالات أساسية منها إصلاح نظام الدعم من خلال التوجه نحو رفعه كليا مع تخصيص تحويلات مباشرة لفائدة المستحقين.

واعتبرت الوثيقة أن إصلاح منظومة الدعم لا يكون إلا عبر إعادة صياغة سياسات الدعم وآليات التعويض، أساسا، من خلال المرور من دعم الأسعار إلى الدعم المباشر بما يمكن من توفير اعتمادات إضافية موجهة للاستثمار العمومي. ويهدف برنامج الإصلاح الذي كشفت عنه وزارة المالية، بشأن دعم المحروقات إلى بلوغ الأسعار الحقيقية في أفق سنة 2026 مع اتخاذ إجراءات موازية لحماية الفئات الهشة.

ويرتكز البرنامج على توسيع القاعدة الضريبية وتطوير التصرف في القطاع الطاقي من خلال مواصلة تطبيق التعديل الآلي للأسعار بالنسبة لمنتجات الوقود الثلاثة والرفع التدريجي لدعم المنتجات الحساسة عن طريق تعديل جزئي للأسعار في مرحلة أولى ثم رفع الدعم كليا مع تخصيص تحويلات مباشرة لفائدة المستحقين، إضافة إلى إرساء التعديل الآلي للأسعار بصفة دورية ومحددة حسب الاستهلاك بالنسبة للكهرباء والغاز، وفق نص الوثيقة.

وفي ما يتعلق بدعم المواد الأساسية شهدت اسعارها ارتفاعا بدورها في علاقة بارتفاع أسعار الحبوب والزيوت النباتية في الأسواق العالمية مقابل عدم تعديلها بالسوق الداخلية منذ سنة 2008، مما يستوجب حسب الوثيقة الخاصة بإطار الميزانية على المدى المتوسط، إعداد دراسة حول مدى نجاعة وقابيلة برنامج الإصلاح المقترح للتنفيذ على أرض الواقع بتغيير النظام الحالي لدعم الأسعار بنظام جديد يرتكز على دعم الأجور والتحويلات النقدية المباشرة، علاوة على تفعيل النظام الجديد لدعم المواد الأساسية بصفة تدريجية خلال الفترة الممتدة من سنة 2023 إلى غاية 2026 مع آلية استهداف قادرة على تحقيق العدالة اللازمة في توزيع التحويلات لمستحقيها الفعليين. وأكدت وزارة المالية أنّ برنامج الإصلاح يهدف أساساً إلى التحكم وبشكل مستعجل في التوازنات الكبرى ودفع النمو وإعداد الأرضية لانتعاشة اقتصادية، بحسب الوثيقة ذاتها.

في المقابل أكد وزير الاقتصاد والتخطيط سمير سعّيد مساء السبت 12 فيفري 2022، أنه لم يتم إلغاء الدعم في تونس خلافا لما يتم الترويج له وفق تعبيره وذلك في تناقض تام مع ما تشدد عليه وزارة المالية.

وأعلن سمير سعيد عن تعزيز الدعم لمستحقيه، خاصة أن المنتوجات التونسية المدعومة وصلت إلى أسواق افريقية، مشددا على أن وقت الإصلاح حان. وذكر الوزير أن تونس طلبت المساعدة من الشركاء الماليين وذلك في إشارة إلى المفاوضات مع صندوق النقد الدولي

وتجري بعثة لصندوق النقد الدولي زيارة افتراضية إلى تونس من 14 إلى 22 فيفري الجاري، لمواصلة المحادثات مع السلطات التونسية حول جملة الإصلاحات التي تنوي تونس القيام بها بهدف الانطلاق في تنفيذ برنامج تمويل جديد مع الصندوق. وأشار سمير سعّيد مناقضا أقواله إلى أن التدرج في رفع الأسعار سُيّمكن من تقليص السوق الموازية والحد من التهريب، مبينا أنه سيتم دعم الفئات المحدودة الدخل والطبقة المتوسطة.

صامتة ومجرد مساعدة :

نجلاء بودن، واجهة لتزيين صورة الرئيس...

منير الفلّاح

يعدّ تقلُّدُ إمرأة منصب رئاسة الحكومة أمرا غير عاديّا في أيّة دولة بالعالم. ففي تاريخ فرنسا الطّويل وحدها Édith Cresson شغلت هذا المنصب فما بالك بدولة ذات موروث عربي إسلامي؟ لذا كان يمكن أن يكون تعيين السيّدة نجلاء بودن رمضان إضافة كبيرة لتاريخ النّونسيّات ودليلا إن كان الأمر يحتاج لدليل على جدارتهنّ بالقيادة في كلّ الميادين وعلى جميع المستويات.

السيّدة نجلاء بودن مثلما يعلم الجميع وافدة على العمل السّياسي من الوسط الأكاديمي والإداري وتُعتبر كفاءة علميّة محترمة في إختصاصاتها لكن لم يعرف لها أيّ إشتغال بالشّأن العام ولا حتّى نشاط جمعيّاتي.

لذا كان وصولها لهذا المنصب أمرا مفاجئا بالنّسبة للرّأي العام ولعلّه كان كذلك بالنّسبة إليها أيضا...

تمّ تعيين السيّدة بودن بعد أسابيع من إقالة هشام المشيشي وتعليق أشغال البرلمان ودخول البلاد في حالة "الإستثناء" وإستفراد الرّئيس قيس سعيّد شكلا وفعلا بكلّ مقاليد الحكم وسلطاته والكلّ يذكر تلك الخطب الرّئاسيّة التي مُفادها: الدّولة قائمة والحكومة ستأتي... لكن وبتزايد الضّغوطات الدّاخليّة وخاصّة الخارجيّة عيّن الرّئيس سعيّد السيّدة بودن وحكومتها (التي والحقّ يقال ضمّت كذلك عددا هامّا من النّساء) وكأنّه أراد بذلك الردّ على الإتّهامات التي تلاحقه واثبات أنّه لا يتبنى فقط قضايا النّساء وانه قادر على تعيينهنّ في أعلى المناصب...

إذن ومنذ البداية كان تكليف السيّدة بودن برئاسة الحكومة ينسجم مع تصوّر الرّئيس قيس سعيّد لهندسة الحكم مثلما يراه:رئيس حاكم ومن حوله مساعدون قليلو الصّلاحيّات وهنا لا بأس بالنّسبة له من "تطعيم" الصّورة بعدد من النّساء من الكفاءات العلميّة.

قد يرى البعض في هذا التّوصيف تحاملا على الرئيس سعيّد والسيّدة بودن على حدٍّ سواء لكن المتفحّص بتجرّد لا يلمس لحدّ الآن على الأقلّ غير صورة رئيس يستقبل السيّدة بودن دوريّا وغالبا مساء، يستقبلها بالتّرحيب والشّكر على عملها وتفانيها في مشهدٍ أشبه ما يكون بمدير يجتمع بمساعد أوّل لإستعراض حصيلة اليوم وما هو مطلوب منه لاحقا... الرّئيس-المدير وحده يتحدّث في أيّ موضوع يراه ولا نرى أيّ تفاعل من "المساعدة" غير "المُباركة" بالعبارة (تبارك اللّه) أو بحركة الرّأس! بالإضافة لطريقة تصوير تلك اللّقاءات حيث يتصدّر غالبا الرّئيس المشهد ولا تحتلّ السيّدة بودنّ إلّا مساحة صغيرة جدًّا لا تكاد تتعدّى حجما أيّ مُكوّن من مكوّنات ديكور المكتب!

السيّدة بودن هي مبدئيًّا أهمّ ثاني شخصيّة في منظومة الرّئيس سعيّد وهي من هذا المنطلق شخصيّة سياسيّة من الصفّ الأوّل تتحمّل المسؤوليّة الأكبر في وضع السّياسات العامّة وتنزيلها على أرض الواقع وبين هذا وذاك هي مُطالبة بالتحدّث للمعني الأوّل بتلك السّياسات: الشّعب التّونسي!

إلّا أنّنا ولحدّ الآن لم نسمع كلمة ولا رأيا للسيّدة بودنّ لا في حوار صحفي ولا حتّى في مُجرّد نقطة إعلاميّة حول أيّ موضوع كالوضع المالي للبلاد مثلا!

أكثر من ذلك يبدو أنّها لم تبد خلال لقاءاتها ببعض الأطراف الإجتماعيّة أساسا ما يُفيد بأنّها صاحبة قرار وقادرة على عقد تفاهمات بوصفها أحد رأسي السّلطة التّنفيذيّة اذ هي تكتفي بالإستماع وبنقل ما يرد عليها للرّئيس!

صحيح أنّ السيّدة بودن "تدير" أو "تُساعد" في إدارة شؤون الدّولة في إطار قانوني "إستثنائي" لدى البعض و"إنقلابي" عند البعض الآخر لكن هذا لا يمنعها من ممارسة صلاحيّاتها في حدّها الأدنى أو على الأصحّ واجباتها كإنارة الرّأي العام حول ما "تعتزم" القيام به في ملفّ المفاوضات مع صندوق النّقد الدّولي وإلتزامات الدّولة التّونسيّة ! سمعنا السيّدة وزيرة الماليّة بخصوص ميزانيّة 2022 لكن سمعنا أيضا "تبرّأ" الرّئيس سعيّد من قانون الميزانيّة هذا!! رأينا فقط مناشير تمنع أيّة مفاوضات إجتماعيّة دون ترخيص مسبق من رئاسة الحكومة (أو بشكل أكثر وضوحا رئاسة الدّولة) سمعنا عن مسؤولين سامين يتحاشون الإدلاء بأيّة تصريحات...سمعنا أنّ القصبة تشتغل لحدّ الآن بلا مدير ديوان !

ما نراه فقط رئيسة حكومة تقوم ببعض الزّيارات للخارج (بتكليف من الرّئيس) ويكاد دورها يقتصر على الجوانب التّشريفيّة فهي سيّدة أنيقة تجيد اللّغة الفرنسيّة وتتمسّك بمظهرها العصري (عدم وضع غطاء الرّأس عند زيارة المملكة العربيّة السّعوديّة). هي إذن فقط صورة تزيّن واجهة الرّئيس سعيّد لا تنبس بكلمة في حضوره (حسب ما يُنشر على صفحة الرّئاسة) وعندما تحدّثت مؤخّرا بفرنسا في مؤتمر "محيط واحد" كان كلامها ترجمة لخطاب الرّئيس: مقاربة جديدة ومتضامنة في مواجهة الأخطار المحيطة بالبحار بسبب التلوّث لتصل إلى طلب مساعدة البلاد على مواجهة تأثيرات هذا التلوّث لأنّ تونس لا تملك الإمكانات الماديّة اللّازمة !

المؤكّد أن السيّدة بودن تحظى بإحترام زملائها وطلبتها ومن عملوا معها في برنامج تعصير التّعليم العالي (آخر مسؤوليّة تحمّلتها قبل رئاسة الحكومة) لكن هل هذا كافٍ ليجعل منها رئيسة حكومة ناجحة في بلاد تعيش أصعب مراحل تاريخها المعاصر؟

السيّدة رئيسة الحكومة حظيت بقدر من التّرحاب حتّى لدى خصوم الرّئيس سعيّد وما أقدم عليه مساء 25 جويلية الفارط وما تلاه...توقّع البعض أن يكون للسيّدة بودن دور حقيقي في مجريات الحياة السّياسيّة بالبلاد بجوانبها الإقتصاديّة والإجتماعيّة لكنّها لم تترك حتّى بصمة بسيطة كإمرأة في قانون الماليّة الحالي. فلا وجود لإجراءات موجّهة للنّساء خاصّة أنّهنّ من أكبر المتضرّرات إقتصاديّا من الجائحة فضلا عن تزايد تعرّضهنّ للعنف! لم نسمع من السيّدة رئيسة الحكومة حرصا على تعيين نساء على رأس ولايات ولا حتّى معتمديّات والحال أنّ عدد النّساء صاحبات الكفاءات العالية في التّسيير كبير وأنّ كلّ المؤشرات والإحصاءات تدلّل على تناقص مؤشّرات الفساد حيثما عُهد لإمرأة بالتّسيير.

كلّ شيء يدلّ لحدّ الآن على أنّ السيّدة نجلاء بودن مكتفية بلعب دور FAIRE-VALOIR للرّئيس سعيّد وهو لا يمثل إساءة لنفسها فحسب وانما إساءة في حقّ النّساء التّونسيّات اللّواتي ومنذ زمن بعيد يناضلن ويكافحن من أجل فرض جدارتهنّ بالقيادة وفسخ تلك الصورة المقيتة للمرأة التي لا تصلح إلّا في مواقع تنفيذ ما يُملى عليها... صورة المرأة التي تجسّد انتفاضة آلاف التّونسيّات ذات 13 أوت 2013 رافعات شعار: لا للمرأة المكمّلة!

وهنا يُطرح مجدّدا السّؤال:أين يكمن الخطأ؟

أهو في شخصيّة السيّدة بودن؟ أم في من عيّنها؟ أم في تزامن هذين العاملين مع ظرف سياسي استثنائي وغير مسبوق؟

بعد ندوة هيئة الدفاع عن الشهيدين بلعيد والبراهمي حول التنظيم السري المالي للغنوشي:

تساؤلات حول جدية محاربة قيس سعيد الأخطبوط النهضوي

أنس الشابي

بعد الكمّ الكبير من الوثائق التي عرضتها هيئة الدفاع عن الشهيدين بلعيد والبراهمي والاتهامات التي كالتها لـ«الفرع المحلي للتنظيم الدولي للإخوانجية» وجب أن نتساءل عمّا يمكن أن يكون عليه ردّ فعل الفرع من ناحية أولى ورئاسة الجمهورية من ناحية ثانية لأن ما قيل في الندوة يهدّد الأمن القومي للبلاد ونحن اليوم في حاجة إلى أجوبة حتى تطمئن النفس على مستقبل الوطن وسلامته.

فمن ناحية الفرع

كشفت الهيئة أن حركة النهضة بجانب «جهازها السري المكلف بالاغتيالات» تمتلك جهازا سريا ثانيا يهتم بالمسألة المالية حيث تضخّ - حسب رواية الهيئة - كميات مهولة من العملات المختلفة من الديوان الأميري في حسابات قالت إنه يتمّ التصرف فيها في ما بعد من طرف الغنوشي رأسا. ولسائل أن يتساءل ما الذي يجعل دولة قطر تقوم بذلك وما الخدمات التي يمكن أن تقدّمها لها حركة النهضة مقابل ذلك. في تقديري أن قطر ليست إلا الحلقة الأخيرة من سلسلة لتنفيذ مؤامرة استهدفت دول المنطقة العربية استؤجرت فيها حركات وأحزاب وتنظيمات للقيام بهذه المهمّة القذرة. والمتأمل في الدور الذي لعبته الحركة بعد وصولها إلى قصور الحكم في تونس يلحظ مليّا أنها انخرطت في أجندا دوليّة لا علاقة لها بالمصالح العليا للوطن استلمت فيها أجرتها بالتقسيط مقابل تنفيذ مهام من بين أهمّها:

1) المشاركة في تدمير سوريا وقيادة الحملة الظالمة عليها وقد كانت البداية عقد مؤتمر في تونس سُمّي مؤتمر أصدقاء سوريا ثم تسفير الشباب التونسي للمشاركة في المعارك تحت مُسمّى الجهاد. وقد جُنِّدت أجهزة الدولة التي يسّرت ذلك ووصل الأمر إلى حدود تسيير رحلات لتجميع ما سُمّي المجاهدين من مختلف الجنسيات حتى يتمّ إرسالهم في ما بعد إلى المنظمات الإرهابية التي أسّست للغرض وفي مرحلة أخرى وقع استرجاع بعض الإرهابيين لمساندة المتحصنين بالشعانبي وفق ما ذكر أمني في لجنة برلمانية استدعته لسماعه في الغرض(1). نتيجة لذلك صُنِّفت تونس في المراتب الأولى ضمن الدول المصدّرة للإرهابيين. هذه الجريمة التي ارتكبت في حقّ تونس وفي حقّ سوريا نفذتها حركة النهضة مصحوبة بالعديد من الجمعيات وأجهزة الدولة التي شارك بعضها بالفعل أو بالصمت. والغريب في الأمر أن عائلات الذين تمّ تسفيرهم فضحت الجريمة في بداياتها ولكنهم في ما بعد خصوصا بعد التوافق الموبوء بين الباجي والغنوشي صمتت وكأني بها قد تمّت ترضيتها وتسلّمت المقابل للتفريط في حقوق أبنائها والتستر على هذه الجريمة بدل كشفها.

2) في العشر سنوات الماضية لعبت الترويكا وما جاء بعدها الدور المساند والداعم والراعي لميليشيات الحكيم وغيره من الإخوانجية في ليبيا. فعبر تونس كان السلاح يمرّ وتُسلّم الذخيرة والأدوية والمؤونة وغيرها من مستلزمات الإبقاء على المعارك مشتعلة. كما سمح الحكم أيامها بأن تصبح تونس مصحّة الاستشفاء والنقاهة لجحافل الإرهابيين من كل الجنسيات الذين يقاتلون في ليبيا فضلا عن تورّط مسؤولين أمنيين في إرسال أطنان من الأدوية إلى الميليشيات الإخوانية. كلّ هذه الجرائم في حقّ الوطن وفي حقّ إخواننا بليبيا ما كان لها أن تتمّ لولا وجود حركة النهضة في الحكم ولولا حصولها على أجرتها نظير القيام بهذه المهمة القذرة.

ومن ناحية رئاسة الجمهورية

أما من ناحية رئاسة الجمهورية وتعاملها مع الملف فالأمر مستغرب وعجيب ويثير التساؤل لأسباب أهمها:

1) ألم تكن الدولة على علم بالوثائق والمستندات التي أثبتت بها هيئة الدفاع عن الشهيدين وجاهة اتهامها الغنوشي وحركته بالتخابر مع الأجنبي والتجسس وتعريض الأمن القومي للخطر والحصول على أموال مقابل ذلك؟ جوابا على ذلك لا يخلو الحال من أمرين: إما أن الدولة كانت على علم مسبق ولم تتصرف وهو ما يسمّى لدى العقلاء تواطؤا وإما أنها لم تكن على علم وفي ذلك خلل في الأجهزة الاستخباراتية يجب التعجيل بإصلاحه خصوصا بعد أن دمّرت الحركة الأجهزة الأمنية في العشرية الماضية.

2) عوّدنا رئيس الدولة منذ قرارات 25 جويلية أن يعلن القرار ولكنه لا يصل به إلى نتائجه المحتّمة. من ذلك أن الرئيس جمّد البرلمان ولكنه مكّن الغنوشي من البقاء حرًّا يقابل السفراء ويعقد الجلسات الافتراضية ويصدر البيانات وغيرها من الأنشطة التي كان من المفروض أن يُمنع عنها بل وصل به الأمر إلى حدود تعيين من يمثله في اجتماعات البرلمانات بالخارج. في نفس الوقت وحتى يرضي الرئيس مساندية وضع قيد الإقامة الجبرية بعض الشخصيات الثانوية كأنور معروف والطيب راشد والبشير العكرمي وغيرهم ثم تمّ رفعها عنهم في وقت لاحق دون إبداء أسباب ذلك لا في الوضع ولا في الرفع. ولمّا شعر الرئيس بأن الشكوك تكاثرت حول مؤدّى قرارات 25 جويلية في ظل التباطئ في تنفيذ ما تعهّد به من مقاومة للفساد وأمام بداية انهيار شعبيته قام بوضع نور الدين البحيري في الإقامة الجبرية ولكن تمّ إعلام حركته وعائلته بمحلّ احتجازه ثم نُقل إلى المستشفى ليحظى برعاية 5 نجوم وتوصية خاصة من الرئيس فضلا عن وضعه في قسم يرأسه طبيب من نحلته، والخوف كل الخوف أن تكون قرارات الرئيس الأخيرة المتعلقة بالمجلس الأعلى للقضاء مندرجة ضمن هذه الخطة القائمة على امتصاص الغضب والإبقاء على المساندة الشعبية للرئيس عن طريق نشر الأوهام حول مقاومة الفساد علما أن الرئيس لم يتحدّث عن مقاومة الإرهاب الإخواني أبداً.

3) رغم مرور عدة أيام على الندوة الصحفية وما جاء فيها فإن رئاسة الجمهورية لم تتصرّف وفق ما تقتضي مسؤولياتها في الحفاظ على الأمن القومي. فالغنوشي الذي كان من المفروض أن يكون رهن الإيقاف ما زال يرتع في البلاد ويعقد الاجتماعات وما زالت الحماية الأمنية وموكب السيارات الرباعية الدفع تصاحبه في تنقلاته. والأكثر مرارة أن تقام الحواجز حول قصره حتى لا يصل إليه المتظاهرون، علما أن الوقفات التي نظمتها المنظمات المدنية جميعها كانت سلميّة ولم يحدث فيها أي تجاوز وهو ما يخفي حرصا من الرئاسة على حمايته وحماية نحلته هذا إلى جانب حماية بؤرة القرضاوي والامتناع عن فتح ملف تمويل الجمعيات.

يوم 25 جويلية الماضي لما أعلن الرئيس عن تجميد البرلمان خرج الشعب فرحا لتوهّمه بقرب انزياح الغمّة فساندنا القرارات ودعونا الناس إلى الالتفاف حوله لشدّ أزره في معركة نعلم جميعا أنها معركة كسر عظام. ولكن ما حدث من تباطئ وتلكئ طوال هذه الفترة دفعنا إلى الشك في ما قصد الرئيس بقراراته يومها وفي ما تلاها حيث نلاحظ أنّ:

1) كلّ الخطوات التي تمّت لامست بعض المحيطين بحركة الإخوانجية أو ما اصطلح على تسميتهم بالحزام ولم تتجاوز حدود الإقامة الجبرية التي ترفع بعد حين وكأنها قطعة حلوى تعطى للأفواه ضمانا لصمتها.

2) الاستماتة في المحافظة على قيادة الفرع المحلي للتنظيم الدولي للإخوانجية وحمايته وحماية أذرعه كبؤرة القرضاوي وغيرها من البؤر والتستر على ملف تمويل الجمعيات.

3) امتناع الحكم عن فك ارتباط السياسة الخارجية لبلادنا من تبعيّتها المخزية للتنظيم الدولي للإخوانجية خصوصا في علاقاتنا بأشقائنا في سوريا الذين شاهدوا من التونسيين الإخوانجية الويلات تقتيلا وتدميرا وكان على الرئاسة أن تبادر بإعادة العلاقات الديبلوماسية والاعتذار للحكم هناك عن الجرائم التي ارتكبها تونسيون في حقهم، علما أنه لو كانت الرئاسة صادقة في مقاومة الإخوانجية لبادرت بفعل ذلك ولتمكنت من الحصول على الأدلة على تورطهم في ارتكاب جرائم ضدّ الإنسانية وفي ذلك عون لها على مواجهة لوبيينغ الغنوشي ومن شابهه.

كل ذلك يعني أن قصد الرئاسة من كل ما ذكر هو المحافظة على شعبية الرئيس لتوهّمنا بأنه سيواجه الاخوانجية وإلا ما معنى أن يبقى الغنوشي طليقا بعد سيل التهم التي وجهتها له هيئة الدفاع عن الشهيدين؟

الهوامش

1) https://ar.webmanagercenter.com/2017/11/21/207590/%D8%B9%D8%B5%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%B1%D8%AF%D9%88%D8%B1%D9%8A-%D9%8A%D8%AE%D8%B1%D8%AC-%D8%B9%D9%86-%D8%B5%D9%85%D8%AA%D9%87-%D9%88%D9%8A%D9%83%D8%B4%D9%81-%D9%85%D9%81%D8%A7%D8%AC%D8%A3/

تحقيق

في استغلال النهضة «البانديّة» والمهمشين...

تحقيق : محمد الجلالي

بينما كانت الولايات المتحدة الأمريكية تدق طبول الحرب على العراق في 2003 تفتقت قريحة صقور إدارة الرئيس الأسبق جورج بوش الإبن عن استغلال قرابة 40 ألف جندي من غير الأصول الأمريكية في معركة احتلال العراق. لجأت أمريكا إلى دفع عشرات الآلاف من المنساقين خلف «الحلم الأمريكي» من ذوي أصول لاتينية إلى أتون الحرب مقابل تمكينهم من الجنسية في صورة عودتهم أحياء.

إستغلال المهمشين لم يكن حكرا على صقور الإدارة الأمريكية في شن حروبها الإقليمية بل امتد ولو بشكل آخر إلى مشهد تونسي لم تسلم عوالمه الخلفية من قاع مزدحم بالجريمة والفقر والتهميش واستغلال وتطويع واستقطاب لمآرب مختلفة.

وكان لحركة النهضة وبصفة اقل أحزاب مثل نداء تونس والحزب الدستوري الحر والبديل نصيب في مراودة بعض «البانديّة» واستخدامهم في مهمات خاصة.

شبيحتهم و»باندیتنا»

لم تسلم أغلب الثورات العربية التي اندلعت سنة 2011 من استغلال الأنظمة الحاكمة بلطجية وخريجي سجون ومجرمين للتصدي التحركات الشعبية. يوم 2 فيفري 2011 لم يجد نظام حسني مبارك من حل لشق صفوف المعتصمين في ميدان التحرير بالقاهرة سوى شن هجوم بالجمال والبغال والخيول في مشهد شبيه بمعارك عصر الجاهلية. كان على متن الدواب بلطجية مسلحين بالسيوف والعصي والسياط، معززين بـ «مُشاة» يلوحون بالعصي والحجارة والسكاكين وقنابل المولوتوف. وكان من بين المهاجمين مُجرمون تم إخراجهم من السجون للتخريب ولمهاجمة المتظاهرين. وفي سوريا استغل نظام بشار الأسد عصابات «الشبيحة» المختصة في تهريب السلاح والمخدرات والسجائر للتصدي للمظاهرات العارمة.

بدءا ببلطجية مصر مرورا ب»شبيحة» سوريا والقبعات الصفراء في ليبيا وصولا إلى «بلاطجة» اليمن، كان خزان المجرمين ومهمشي العالم السفلي وقودا لمعارك وحروب أهلية لدى وزرات الداخلية بينما كان الأمر مختلفا كليا في تونس. فقد بقي «البانديّة» يتحركون في فضاءات سفلية وعوالم مظلمة طيلة عشرية كاملة ولم تتمكن الدولة بمختلف أجهزتها من السيطرة عليهم ولنا كأمثلة احياء شعبية بالعاصمة ظلت لسنوات عصية على دخول رجال الأمن أو تحالفات بين «بانديّة» وبعض المتنفذين لاستغلالهم في مهمات قذرة فيما عملت أحزاب على الاقتراب منهم والتعامل معهم وتوظيفهم وأحيانا التضييق عليهم.

«بانديّة» النهضة

يوم 9 ديسمبر 2021 شهد مقر حركة النهضة بمونبليزير انتحارا راح ضحيته شاب يدعى سامي السيفي. حدث هز مقر الحركة ولم يمر دون ظهور تفاصيل جديدة عن عالم النهضة الخلفي. كمال الحوكي احد أبناء الحركة كتب تدوينة مطولة على صفحته بموقع «فايسبوك» متحدثا عن «تشبث المتحكمين في زمام الحركة بالتموقع والهيمنة والسيطرة رغم أن منظومتهم قد اهترأت وبليت وسقطت» مذكرا بحادثة تعود إلى زمن نظام بن علي.

يقول كمال الحوكي: «جاء احدهم إلى صديق نهضوي باكيا وشاكيا ضيق الحال. وبعد ان طلب منه مساعدته ماليا لخلاص معاليم الكهرباء المقطوع عن منزله كانت إجابة صديقه: فلتتنصت على فلان ولك مني 100 دينار».

وكتب كريم عبد السلام المنشق عن الحركة في نفس الإطار: «لمَ لا يزالون متعطشين لنهش اجسادنا حتى بعد حصولهم على اللجوء والجنسيات والمراكز والمناصب؟ لمَ لا نسقط إلا نحن كضحايا وهم أبديون لا يسقطون كآلهة الحرب والسلم؟»

يقول كريم عبد السلام في تصريح لـ «الشارع المغاربي»: «تحولت حركة النهضة الى آلة عمياء لا تتوانى عن استغلال المستضعفين والمهمشين وأصحاب السوابق خدمة لأغراضها. ومن يقف في وجهها أو يرفض الانصياع لها يكون مآله التهميش والمضايقة. وهذا التمشي كان نتاج تمرّس اغلب قادتها داخل السجون لسنوات طوال.»

يذكر ان كريم عبد السلام كان قد أشار في شهادة نشرها على موقع المفكرة القانونية إلى أن الحركة استقطبته في ثمانينات القرن الماضي مستغلة صغر سنه ووضعه الاجتماعي الصعب بقوله «انخرطت رغم طفولتي في العمل السياسي ولم أكن في هذا استثناء إذ أن كل الحركات السياسية المعارضة كانت في تلك السنوات تستقطب الأطفال في نشاطها ليكونوا ضمن أدوات تحريك الشارع في إطار ما كان يصطلح على تسميته بالحركات التلمذية».

الإخوة في «الكرّاكة»

تسبب احتدام الصراع بين حركة الاتجاه الإسلامي ونظام بن علي خلال ثمانينات القرن الماضي في عمليات كر وفر وارتكب النهضويين عمليات حرق وجرائم قتل منظم فزج بالمئات منهم في السجون. داخل السجن أصبح النهضويون بعد مدة ليست بالطويلة قوة لافتة تتحكم في اغلب منظوماته.

يقول لطفي الجلاصي، وهو سجين سابق جمعته الزنازين ببعض قيادات الحركة: «في بداية عهدهم بالسجن مر النهضويون بلحظات ضعف وخوف بما جعلهم يحتمون بكبار المجرمين فكنا نذود عنهم في مرات عديدة.»

ويتابع: «حاول نظام بن علي كسر شوكتهم بتحريض بعض المثليين على التحرش بهم ودفع البلطجية إلى الاعتداء عليهم فما كان منهم إلا التكتل والتحرك بصفة جماعية لرد كل اعتداء. ومع مرور الشهور والسنين باتوا يشكلون قوة ضاربة داخل السجون ويفرضون نواميسهم وأحكامهم.»

في ذات السياق يؤكد كريم عبد السلام ان مساجين الحركة لم يكتفوا بتشكيل قوة دفاعية داخل الزنازين وأنهم تمكنوا من امتلاك قوة مالية وتسييرية مشيرا إلى أنهم كانوا يتحكمون في عمليات بيع مواد التموين والسجائر للمساجين وحتى في كميات المخدرات التي تصل للنزلاء بطرق خفية.

ويضيف عبد السلام: «تمكن أبناء الحركة من التعرف على عوالم السجن واقتربوا من أخطر المجرمين وربطوا علاقات صداقة معهم ثم استغلوها إثر خروجهم من السجون وخاصة بعد ثورة 2011 التي أوصلتهم إلى سدة الحكم.

ويلفت الى ان النهضة استغلت «البانديّة» في أكثر من مناسبة معتمدة على سياسة قائمة على الترغيب والترهيب والى أن لطفي الجلاصي هو أحد المساجين الذين كانوا عرضة لهذه السياسة منذ 2011.

تحقيق

الماخور ونكث الوعود

يؤكد لطفي الجلاصي ان قربه من بعض قادة الحركة خلال سنوات السجن (حمادي الجبالي وعبد الكريم الهاروني ورضا البوكادي وسمير ديلو..) أتاح له الاشتغال مع الحركة سنة 2012 ملاحظا انه تم تكليفه من الحزب لجمع امضاءات التجار والسكان المجاورين لماخور العاصمة للمطالبة بإغلاقه مقابل تكفل الحركة بجلب تمويلات خليجية لتوفير موارد رزق للعاملات به.

ويواصل الجلاصي: «بعد جهد ومثابرة تمكنت من جمع اكثر من 4 آلاف إمضاء لكني فوجئت بمماطلة النهضة في الايفاء بوعودها رغم يقيني بحصولها على تمويلات من جهات خليجية فما كان مني إلا مواجهة قيادتها ولومها على نكثها بعهدها، حينها كانت القطيعة التي استغلتها الحركة لهرسلتي ومحاولة تركيعي.

الجلاصي يشدّد على ان النهضة كانت وراء ايقافه وتلفيق تهم كيدية له في أكثر من 20 مناسبة بين 2012 و2020 مبينا انها كانت تمارس عليه ضغوطها ثم سرعان تفتح معه بعض قنوات التفاوض سواء عن طريق بعض أصدقائه أو مباشرة عبر قادتها.

في هذا الإطار يشير لطفي الجلاصي إلى تنقل كل من نور الدين البحيري والصادق شورو في تمام الثانية فجرا من أحد أيام شهر جانفي 2013 إلى سجن المرناقية لملاقاته ومطالبته بالكف عن انتقاد الحركة مقابل إطلاق سراحه.

وأحزاب أخرى..

تواصل الشد والجذب بين السجين السابق لطفي الجلاصي وحركة النهضة ليبلغ حد المناوشات المتبادلة بينه وبين أحد الحراس الشخصيين لرئيس الحركة راشد الغنوشي أمام أحد النزل وينتهي باستدعائه لحضور تظاهرة سياسية من تنظيم الحركة على هامش الانتخابات التشريعية لسنة 2019.

يقول الجلاصي: «التحقت بالتظاهرة فجلب انتباهي تكفّل أحد المحسوبين على الحركة بتوزيع أموال على الحاضرين فما كان مني الا أن رفضت العرض متهما القائمين عليها بشراء أصوات المفقّرين للصعود على أكتافهم إلى سدة الحكم».

ويتابع: «في نفس السنة اتصل بي حزب البديل لدعوتي لاجتماع ببلدية سيدي البشير ثم طُلب مني تأمين حماية بعض الشبان المكلفين بالقيام بالحملة الانتخابية للحزب وعلمت أنهم قاموا بنفس الشيء بالنسبة لتحركاتهم في كل من مدينتي تونس والمرسى..

كما يؤكد الجلاصي تلقيه اتصالات من الحزب الدستوري الحر للاستعانة بخدماته في تحركاته السياسية.

واكد أنه ليس سوى عينة مما يتعرض له العديد من المنتسبين للعوالم السفلية مشيرا الى ان الحركة ما فتئت كغيرها من أحزاب أخرى تستنجد بـ «الباندية» لضمان دخول آمن إلى الأحياء الشعبية ولشراء الأصوات أو لتنفيذ مهمات أخرى.

يُذكر ان النهضة كانت محل اتهامات باستخدام «باندية» لارتكاب أعمال عنف أو قمع مظاهرات على غرار الهجوم على مقر الاتحاد العام التونسي للشغل في 2012 أو الاعتداء على مظاهرة 9 افريل 2012 بشارع الحبيب بورقيبة أو أحداث حرق سيارات واعتداء على مشاركين في جنازة الشهيد شكري بلعيد.

كما لم يستبعد البعض وقوف النهضة خلف عمليات العنف التي طالت اجتماعا لحزب نداء تونس بأحد النزل في الحمامات سنة 2018، والذي شهد بدوره استخدام بعض البلطجية بدعوى حماية الاجتماع.

ولم يستغرب الجلاصي تعرض بعض «الباندية» لـ«التأديب» وحتى القصاص في صورة رفض التعامل مع الحركة او إيقاف التعامل معها بعد فترة من الاستغلال، مستشهدا بأكثر من حادثة غامضة تعرض لها بعض المنحرفين المعروفين بتقديم «خدمات جليلة» لها.

من جهته يذهب كريم عبد السلام إلى أن الحركة بقدر ما كانت تسيطر على المساجين بالاعتماد على العنف المفرط أصبحت قوة ضاربة خارج السجن بالاعتماد على نفس المساجين.

ويشير عبد السلام إلى تمدّد سياسة المتاجرة النهضوية من العالم السفلي إلى أبنائها لتطال سطوتها بعض مساجين «الانتماء» السابقين ممن باتوا يعانون من قلة ذات اليد.

يقول كريم عبد السلام: «حادثة انتحار المرحوم سامي السيفي هي واحدة من أمثلة عدة لشباب الحركة الذين طالبوا بمساعدات مالية أو التمسوا الوقوف الى جانبهم. وأمام حالة اللامبالاة التي قوبلوا بها من الحركة لجأ بعضهم إلى محاولة الانتحار وعمد آخرون إلى الاعتداء على المقر وتكسير بعض معداته. في المقابل تعاملت الحركة مع بعض المتسلقين وملبيي نداء المهمات الخاصة بكرم طائي وحفاوة فائقة».

وفي ظل عجز رسمي عن حوكمة عالم مترامي الأطراف من المهمشين و«الباندية» تمثل فيه نسبة العود إلى السجن 40 % وتكتظ فيه السجون بأكثر من 20 الف سجين وتغيب فيه أجهزة الدولة عن الأحياء الشعبية ويتفاقم الفقر ويتعمق الانقطاع المدرسي يبقى قاع المجتمع في مهب استغلال سياسي من أحزاب همها الوحيد ضمان مصالحها ولو على حساب ما تبقى من الدولة.

أطلقت شركة "سيتي كارز" الوكيل الرسمي لماركة "كيا" الجنوب كورية بتونس، شاحنتها الخفيفة الجديدة K2500

في إطار وفاء ماركة "كيا" لقيمها ووعودها، تتمتّع الشاحنة K2500 بشهرة الدار الممتازة ونجاحها الغنيّ عن التعريف والذي أثبت جدواه وصلابة شاحناتها.

ويأتي إطلاق شاحنة K2500 التي طالما انتظرها مستعملو الشاحنات الخفيفة استجابة لانتظارات وحاجات الحريف التونسي.

وتمثل الشاحنة الجديدة وسيلة عمل موثوق بها ومتعدّدة الاستعمالات وتتكيّف مع هامش واسع من الاستخدامات سواء بالنسبة للقطاع الصناعي أو الأنشطة التجارية أو ما يتعلق بميدان اللوجستيك ومهن النقل وإيصال السلع بصفة عامة.

وتتميّز الشاحنة K2500 بخصائص تقنية وبامتيازات لا مثيل لها وهي مطروحة في نموذج بغرفة قيادة ذات 3 مقاعد وصفيحة معدنية جانبية متدلية.

أمّا طاقة حمولة الشاحنة فهي كبيرة بما فيه الكفاية اذ تبلغ 1,5 طن مع وزن شامل بـ 3,2 أطنان.

وتساعد قوة دفع العجلتين الخلفيتين (أربع عجلات خلفية) المزدوجتين على الوثوق في الشاحنة وعلى ضمان استقرارها حتى في حالة الحمولة الزائدة.

ويبلغ طول الشاحنة K2500 5,125 أمتار وعرضها 1,740 متر في حين يبلغ علوّها 1,995 متر وقاعدتها2,615 متر. أمّا قياسات فضاء الحمولة فتبلغ 3,110 أمتار طولا و1,630 متر عرضا.

ويرتكز الجانب الخلفي من الشاحنة على خمسة نوابض من الصفائح المعدنية التي توفّر مرونة أفضل وتمتصّ جانبا من رجّات الطريق خلال الاستعمالات الأكثر كثافة.

وعلى صعيد التجهيزات، تحتوي الشاحنة K2500 على معدّات ذات مستوى عملي وتوفر رفاهة مثالية، منها:

وسادة هوائية خاصّة بالسائق ومكيف هواء وبلور نوافذ كهربائي العمل وراديو ومفتاح تخزين USB...

المحرّك

شاحنة K2500 مجهزة بمحرك سعة 2,5 لتر (2497cc) مازوط تبلغ قوته 130 CVDIN.

أمّا كتلة المحرك فهي مقترنة بمحوّل سرعة يدوي الاستعمال وذي 6 نواقل للحركة فيما تبلغ سرعة الشاحنة القصوى 150 كلم في الساعة مع معدل استهلاك للمازوط بـ 9,5 لترات في المائة كلم.

السعر والعرض

شاحنات K2500 متوفرة في قاعة العرض التابعة لـ "سيتي كارز" الكائنة بالمنطقة الصناعية بالكرم وبقاعات عرض الوكالات المعتمدة من طرف شركة "كيا".

وتُعرض الشاحنة K2500 المجهّزة بصفيحة معدنية جانبية متدلية بسعر 61.990 دينارا (TTC) وهي متوفرة في لونين: الأبيض (Clear White) والأزرق (Marine Blue).

لمزيد المعلومات اتصلوا بنا على موقع الواب: www.kia.tn – contact@kia.tn أو على أرقام الهواتف التالية: 36406200 و36010701 و36010710

في الذكرى 17 لوفاته :

نور الدين بن خضر، رمز الفكر التقدمي الوطني التونسي

عمار العربي الزمزمي

كان نور الدين بن خضر يسكن فكري ووجداني لا بوصفه أحد رموز اليسار التونسي وإنما بوصفه تجسيدا له منذ أن تم نقل وقائع محاكمته هو ورفاقه على الإذاعة مباشرة سنة 1968.ولعل من أسباب عمق العلاقة بيني وبينه علاوة على الأمور السياسية ما كان بين عائلتيْنا من روابط متينة لم تستطع النيل منها محاولات البعض إلصاق تهمة اغتيال والده المناضل الوطني الحاج علي خضر بعائلتنا التي كانت تقف في الصف البورقيبي في حين كان هو يتزعم الجناح اليوسفي في الحامة والجنوب بصفة عامة رغم أنّ قرار التصفية تم اتخاذه في تونس العاصمة ومنفذه كان معروفا .

كان والدي يسألني عنه كلما زارني بالسجن. وكان يستغرب عندما كنت أقول له بأنني لا أراه. كان يقول : لماذا يمنعكم الحاكم من رؤية بعضكم ؟

ظلت علاقتي بنور الدين خضر وثيقة بعد خروجنا من السجن. كان كلما زار الحامة يزورني في بيتي أو يدعوني لقضاء بعض الوقت بأحد الأماكن صحبة بعض الأصدقاء المشتركين لأنه كان يحب الحياة والمرح. وكلما زرت تونس إلا واتصلت به سواء في مقر عمله أو في بيته وإن تعذر ذلك فحتى في مقهى. وقد حرص على تمكيني من نشر ما كنت أرغب في نشره من مواقف في الصحافة .من ذلك مثلا نشره على صفحات جريدة الطريق الجديد لرسالتي المفتوحة الموجهة إلى بن علي سنة 1988 بعنوان « إلى أيّ حد طوينا صفحة الماضي؟» .

نور الدين بن خضر أحد من علمونا توظيف قوانا لتحسين ظروف اعتقالنا

لما انتقلنا من محلات وزارة الداخلية إلى السجن المدني بتونس في مطلع فيفري1974 وجدنا في نور الدين خضر ورفاقه القدامى الذين كانوا معتقلين معه (جلبار نقاش والهاشمي الطرودي) علاوة على أحمد بن عثمان الرداوي الذي أوقف معنا لجنة استقبال علّمتنا الكثير وجنبتنا النضالات العشوائية لتحسين ظروف اعتقالنا .كنا مندفعين مستعدين لتدمير الذات بمنطق الحصول على كل شيء أو لا شيء .و كان دور نور الدين خضر والقدامى كبيرا في الحد من اندفاعنا التلقائي .فقد وضعوا على ذمتنا تجربتهم الطويلة فأدركنا عن طريقهم الفرق بين أشكال النضال البسيطة لكن الضرورية للتحرك مثل تحرير العرائض المتضمنة للمطالب وأشكال أرقى مثل الإضراب عن الطعام .و أدركنا الفرق بين الاضرابات الاحتجاجية التي يتم انجازها تعبيرا عن موقف أو رفضا لإجراء ولا يراد بها تحقيق مطالب والإضرابات المطلبية لتحقيق مطالب محددة كما أدركنا أيضا أنّ بعض الإضرابات يتم فيها التعويل على قوانا الذاتية وحدها في حين أنّ إضرابات أخرى يحتاج إنجاحها إلى دعم العائلات والقوى الديمقراطية في البلاد والرأي العام الديمقراطي في الخارج لذلك يجب حسن اختيار التوقيت المناسب للتحرك حتى ينجح والأهم من كل هذا ضبط خطة عمل واضحة تميز بين المطالب العاجلة التي لا تحتمل التأجيل والمطالب الآجلة إضافة إلى ترتيب المطالب حسب أهميتها والاتفاق المسبق على الحد الأدنى الذي يجعلنا ننهي الإضراب حتى لا يحصل تضارب في المواقف ولو حصل تفريقنا على سجون مختلفة .

وقد استطاع نور الدين خضر أن يفرض على الإدارة التكلم باسم الجميع والتفاوض باسمهم حول المطالب رغم أننا لم نكن متجمعين.

تعلق نور الدين بن خضر بالحرية ورفضه الاصطفاف الغبي وراء الآخرين

لما انتقلنا إلى برج الرومي وأقمنا نظام اتصال سريا بين الغرف كنت أتواصل مع نور الدين خضر وأتحدث معه في كل المواضيع بما في ذلك الشعر والأدب والثقافة عامة . وقد أغضب

سلوكي وسلوك أمثالي الرفاق الذين كلفتهم القيادة في الخارج بالإشراف على مجموعتنا في السجن .فقد رأت في ذلك ضربا لمبدإ المركزية الديمقراطية ونوعا من التسيّب البورجوازي الصغير .فكل شيء يجب أن يمر عبر المركز .وكان ذلك منطلقا لما عُرف عندنا يومها بالثورة الثقافية التي جعلت كثيرا من الرفاق يثورون ضد البيروقراطية في تسيير التنظيم ويطالبون بإقرار الحرية داخله.

وفي الأثناء اتصلنا من رفاقنا بالخارج بمراسلة وقصاصات من جريدة العامل التونسي فهمنا من خلالها أنّ «منظمة العامل التونسي « حلّت محل « تجمع الدراسات والعمل الاشتراكي التونسي « أي « برسبكتيف» وأنّ تغييرات جوهرية في توجهات المنظمة قد حصلت .

كان نور الدين خضر واحدا من أربعة عشر رفيقا رفضوا وضعهم أمام الأمر المقضي والالتحاق بالتنظيم الجديد ومواصلة مناقشة التحولات داخله .لقد طلبنا اعتبارنا وضعا خاصا وتمكيننا من كل الوثائق والمعطيات لاتخاذ موقف واضح لكن أغلب الرفاق رفضوا ذلك واعتبرونا متخلين عن التنظيم وحجبوا عنا ما كان يصلهم من مراسلات وقصاصات جريدة العامل التونسي التي كانت توزع في الخارج وتقع بين أيدي البوليس .

أدركنا يومها أنّ التنظيمات التي تنشط في إطار القمع يمكن أن تعيد انتاج القمع على المنتسبين اليها .

وبدأت عمليات التشويه تحصل خارج السجن ضد بعض الرفاق أو ضد أقاربهم. من ذلك مثلا إلصاق تهمة التعامل مع المخابرات المركزية الأمريكية (C I A)بعائشة بالعابد زوجة نور الدين خضر التي غادرت سجن منوبة لمجرد كونها التحقت بإحدى مؤسسات الآثار التابعة للأمم المتحدة أو التلميح إلى أنّ سيمون للوش زوجة أحمد بن عثمان الردّاوي قد تكون مرتبطة بالخارج بدوائر مشبوهة وربما صهيونية لا لشيء إلا لتعاملها مع منظمات حقوقية مثل منظمة العفو الدولية .كما تم التلميح إلى غرابة وجود عنصر يهودي مثل جلبار نقاش في تنظيم ثوري ينشط في قطر عربي. وبدأ التشكيك فيثورية الرفاق الذين رفضوا الوقوف في الصف .

كان نور الدين خضر من الذين فكروا جيدا في تجارب بناء الاشتراكية سواء في الاتحاد السوفياتي أو في الصين وفي سائر بلدان المعسكر الاشتراكي . وكان من الذين كانوا يقرؤون ما كان يُكتب عن هذه التجارب علاوة على كتابات الفلاسفة الجدد والمنشقين أمثال سولجنتسين صاحب « أرخبيل الغولاغ» في حين كان كثير من الرفاق يقولون عن هؤلاء :» منشق أو عميل فلا يُقرأ» .

وقد انتهى نور الدين خضر وبعض الرفاق إلى أنّ غياب الديمقراطية كان من أهم أسباب فشل هذه التجارب في بناء الاشتراكية وأنّ مقولة حقوق الانسان ليست مجرد ورقة يلعبها الأمريكان والغرب عموما ضد خصومهم السياسيين لذلك رفضوا الانتماء إلى مجموعات تدين بالولاء لألبانيا وأنور خوجة الستاليني أو للصين وماوتسي تونغ سواء بالاصطفاف وراء أرملته و» عصابة الأربعة» أو وراء جماعة « العوالم الثلاثة».

القطيعة بين الأجيال وانتكاسة أقصى اليسار التونسي

لما وقع تجميعنا في سبتمبر 1975 تم تقسيمنا على غرفتين مفتوحتين على بعضهما طوال النهار .وقد اخترت أن انضم إلى المجموعة الصغيرة التي كانت تضم نور الدين خضر وجلبار نقاش والهاشمي الطرودي وأحمد بن عثمان الردّاوي ورشيد بلّوّنة وعمار بن منصور والفتحي المسدي والعروسي الغربي وعز الدين الحزقي وأحمد العابد وهشام عصمان وكلهم ممن رفضوا الالتحاق بالتنظيم الجديد .يُضاف اليهم الفتحي بن الحاج يحيى من الذين لم يعيشوا معنا الصراع لأنه حوكم سنة1975.

كانت فرحتي بلقاء نور الدين خضر ورفاقه القدامى مشوبة بحزن شفيف لكنه عميق .فقد شاء القدر أن يؤجل هذا اللقاء حتى بلغوا مفترق طريق العمر والمسيرة النضالية .مناضلون أفنوا زهرة شبابهم في السجون وتقطعت بهم السبل على المستوى المهني وربما العائلي يريد جيل شاب أن ينجز ضدهم ما عجزت عنه السلطة القمعية على امتداد سنين طويلة : إزاحتهم عن الصدارة وإدخالهم المتحف بطريقة فجّة . يا له من جحود ! يدخلون السجن بسبب انتمائهم إلى تنظيم لم يعد له وجود ويتواصل سجنهم مع ذلك بسببه ويقال عنهم بأنهم لم يعودوا ثوريين.

أدركت يومها أنّ ما يجمع بيني وبين نور الدين خضر وأبناء جيله هو أنّ مدخلنا إلى السياسة كان الثقافة وأنّ الثبات على المبدإ مسألة فلسفية وجودية لا تتأثر بتغير مواقف زيد أو عمرو .إنه قبول التعرّض لغربة المتوحّد وخطر الإخراج من الملّة ورفض الاصطفاف الغبي وراء الآخرين بمنطق القطيع .

يمكنني اليوم أن أقول بأن القطيعة بين الأجيال والكيفية التي تم بها إنهاء تجربة برسبكتيف قد مثلا أهم عوامل انتكاسة أقصى اليسار التونسي .فقد اضطرّت قيادات تاريخية للبقاء مستقلة وانصرفت سواء إلى النشاط الحقوقي مثلما فعل أحمد بن عثمان الردّاوي والهاشمي بن فرج أو إلى العمل الثقافي مثلما فعل نور الدين خضر.

على خطى نور الدين بن خضر

شخصيا لم أجد أيّ مجموعة يسارية ترضي تطلعاتي فبقيت مستقلا. وقد عملت في الحامة سواء في إطار الاتحاد المحلي للشغل أو في نادي البحوث والدراسات على تكوين جبهة عريضة تضم مختلف الطيف القومي (من ناصريين وعصمتيين ولجان ثورية وبعثيين) والطيف اليساري (من يساريين مستقلين وعناصر من حزب العمال أو محسوبين عليه ووطد ومود) والشيوعيين العرب .وقد نجحت العملية في الحامة ثم امتدت إلى قابس فاتخذت بعدا جهويا فتكوّن تيار نقابي ديمقراطي وطني وجبهة غير معلنة اجتماعية سياسية كانت وراء نجاح كل التحركات بالجهة سواء ضد السلطة أو مساندة للقضايا العربية. دامت التجربة عشريتين كاملتين (الثمانينات والتسعينات) ومن شروط نجاحها قيام التحالف في مستوى القاعدة .من ذلك مثلا التزام الجميع بما يقع الإتفاق عليه دون مراعاة لموقف الأحزاب التي ينتمون إليها فإذا أُتّخذ مثلا موقف نقابي في قطاع التعليم الثانوي يتم الدفاع عنه من قِبَل من يذهب ليمثلنا في الهيئات الادارية للنقابة العامة بغض النظر عن موقف حزبه. وهذا ما جعل لجهة قابس طيلة سنوات موقفا متميزا بعيدا عن الصراعات العقيمة لكن ذلك لم يتواصل لأسباب يطول شرحها».

في مناهج وفنون مغالطة وزارة المالية الشعب...

كريمة السعداوي

أصدرت وزارة المالية الأسبوع الفارط وثيقة قدمتها على أنها وثيقة تأليفية للفرضيات الاقتصادية والتوجهات المالية الكبرى للفترة 2022-2024. وقدمت الوثيقة الأولويات المحددة لهذه الفترة وبرنامج الإصلاح على المدى القصير والمتوسط. وتضمنت عموما نفس المعطيات التي وردت في وثيقة سابقة أرسلتها الحكومة الى صندوق النقد الدولي للحصول على قرض ائتماني بقيمة 4 مليارات دولار لا تزال السلط تراهن على الحصول عليه الى اليوم لإنقاذ المالية العمومية من عجزها.

غير ان اصدار الوثيقة من قبل وزارة المالية لم يمنع وزير الاقتصاد من الادلاء بدلوه في نفس المجال - وهو المتصرف أساسا في برامج الحضائر الجهوية - حيث أعطى، السبت الماضي، إشارة الانطلاق لإعداد المخطط التنموي 2023-2025 بولايات الشمال الشرقي والوسط الشرقي تحت نفس الشعارات المعهودة والبالية، كدفع نسق النمو وتحسين المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية في إطار تشاركي وتحفيز المبادرة وتشجيع القطاع الخاص. ولكن المهم ان كل الوثائق الحكومية المذكورة هي في الواقع تكرار لما سبقها من خطط وبرامج قدمت للهيئات المالية منذ 2011 كوعود اتضح انها واهية لعدم واقعيتها وقابليتها للتحقيق وبشكل خاص لضعف كفاءة معديها.

وثيقة وزارة المالية ومراوغاتها

ذكرت وزارة المالية في مطلع وثيقتها التي وصفتها بـ "المنهجية" رغم غياب أي جانب منهجي او فرضيات على مستوى احتساب بعض المؤشرات المشتتة التي قدمتها، ان البلاد تشهد أزمة عميقة في المالية العمومية والدين العمومي تتطلب السيطرة العاجلة على النفقات والتحكم في عجز ميزانية الدولة. وأشارت الوزارة في مغالطة مفضوحة الى ان الحكومة انطلقت في إرساء برنامج إصلاحات جوهرية وطنية تشاركية لإنقاذ الاقتصاد وتحقيق التصحيح المرجو لوضعية المالية العمومية تكون بدايته الفعلية في سنة 2022 يضمن الاستقرار المالي والاقتصادي على المديين القصير والمتوسط، ويستوجب تحقيقه انخراط جميع المتدخلين والفاعلين من افراد ومؤسسات.

وفي هذا الإطار، أعلنت الوزارة انها تعرض في وثيقتها توجهات المالية العمومية للفترة 2022-2024 وبرنامج الإصلاحات المطروحة لمواجهة تحديات المرحلة وخاصة

منها ضمان عدم استدامة الدين العمومي وترشيد النفقات العمومية مع الحرص على حماية الفئات الهشة من خلال اتخاذ إجراءات مصاحبة ذات طابع اجتماعي وصحي، ومساندة المؤسسات الاقتصادية ودفع الاستثمار والإصلاح الجبائي، وتعميم رقمنة العمليات الإدارية وتشجيع الاقتصاد الأخضر. ولتكتمل صورة المخاتلة، لم تتضمن الوثيقة الوزارية التي جاءت في 21 صفحة اغلبها ملاحق من ميزانية 2022 سوى ثلاث محاور تتعلق بنفقات الأجور والدعم وحوكمة المؤسسات العمومية ولم يتم التعرض اطلاقا لبقية المحاور المعلن عنها في التوطئة كتعزيز موارد الدولة والتصرف في الدين العام وتطوير الجباية ورقمنة الإدارة.

المخاتلة الأولى: التحكم في كتلة الأجور وإعادة هيكلة الوظيفة العمومية

بدأت وزارة المالية سلسلة مغالطتها في هذا المحور مبرزة انه في حالة عدم إقرار إصلاحات على المدى المتوسط، فإن كتلة الأجور ستواصل اتباع منحى تصاعديا يثقل ميزانية الدولة مبرزة أن نفقات الأجور بلغت سنة 2021 مستوى 20345 مليون دينار أو ما يعادل 59 بالمائة من موارد الميزانية مقابل 53 بالمائة كمعدل خلال الفترة 2010-2019. وفسرت الزيادة في كتلة الأجور أساسا بما فرضت مرحلة الانتقال السياسي (تعزيز قوات الأمن والدفاع في مواجهة التهديدات الإرهابية وحدة التوترات الجيوسياسية الإقليمية، وزيادة المطالب الاجتماعية وإدماج أعوان المناولة والحضائر، ...) متناسية بالكامل الترفيع في أجور كافة اسلاك القطاع العام طيلة السنوات الفارطة تحت ضغط النقابات وبفعل التكتلات المهنية وابتزاز الدولة وتعظيم الامتيازات، بمختلف اصنافها.

وللتذكير فإن موظفي وزارة المالية نفسها التي تسعى اليوم الى ترشيد الأجور تمكنوا منذ سنوات بفعل ضغط نقابي وتكتل غير مسبوق من الحصول على منحة سنوية بعنوان الاستخلاص الضريبي قيمتها 11 ألف دينار علما ان كافة إطارات الوزارة ومديريها يتمتعون بمكافآت الحضور في مجالس إدارات المؤسسات تحت الاشراف فضلا عن التحاق العشرات منهم بمواقع قيادية بها لمضاعفة رواتبهم.

وأفادت وزارة المالية دون ان تقدم أي تقييم كمي ان خطة الحكومة في ما يتصل بـ "ترشيد" الأجور تقوم على اجراءات عاجلة للتحكم في كتلة الأجور من خلال ترشيد الزيادات في الأجور بما يزيد في الغموض حول وضعية تجميد الأجور التي تطرقت اليها وثيقة سابقة لرئاسة الحكومة وترشيد الانتدابات وحصرها في القطاعات ذات الأولوية، وذلك بطبيعة الحال دون ذكرها علاوة على إعادة النظر في برمجة تطبيق اتفاقية 6 فيفري 2021 بين الحكومة والاتحاد العام التونسي للشغل دون مفعول رجعي مما يعني إقرار الزيادات في الأجور للسنتين القادمتين بداية من تاريخ صرفها في ماي القادم حسب الاتفاقية المذكورة.

وإمعانا في الخطاب الشعبوي، أكدت الوزارة انه سيتم تأجيل العمل بالقانون عدد 38 لسنة 2020 والمتعلق بأحكام استثنائية للانتداب في القطاع العمومي مما يعني صراحة عدم التخلي عنه وذلك في تناقض صريح مع موقف رئيس الجمهورية الذي اعتبر في العديد من المناسبات هذا القانون خديعة و"بيعا للأحلام" رغم توقيعه عليه في 16 أوت 2022.

ودون تقديم الأثر على توازنات الصناديق الاجتماعية تم التطرق الى العزم على اعتماد برنامج جديد للإحالة على التقاعد المبكر مع التنفيل وإمكانية إحداث برامج للمغادرة الطوعية مع التمتع المباشر بمنحة التقاعد وبمكافأة مالية.

المخاتلة الثانية: إصلاح منظومة الدعم

في نفس السياق الدعائي، شددت الوثيقة الوزارية على ان حال المالية العمومية لا يمكن ان يستقيم دون اصلاح منظومة الدعم وهو ما فتئت تردده حكومات ما بعد 2011 بلا انقطاع وتفعل عكسه تماما. وأوضحت الوزارة ان "الإصلاح" يتم من خلال إعادة صياغة سياسات الدعم وآليات التعويض وذلك أساسا عبر المرور من دعم الأسعار إلى الدعم المباشر مما يمكن من توفير اعتمادات إضافية موجهة للاستثمار العمومي باعتباره محركا أساسيا لاستقطاب الاستثمار الخاص ودفع النمو الاقتصادي خاصة في ما يتعلق بالبنية التحتية والتدخلات الاجتماعية الموجهة وتطوير قطاعات التعليم والصحة العمومية.

ويتناقض طرح وزارة المالية مع ما أورد مؤخرا المعهد التونسي للقدرة التنافسية والاقتصاد الكمي التابع لوزارة

الفرضيات والتوجهات الكبرى للفترة 2022 - 2024
جدول التوازنات العامة للميزانية - موارد الدولة وتكاليفها

بحساب المليون دينار	2020	2021		2022	2023	2024
	نتائج	ق م	ق م ت	ق م	توقعات	توقعات
I جملة موارد الدولة	48833	51804	55520	57291	60173	61665
1 مداخيل الميزانية	30494	33109	34449	38618	39000	41075
2 موارد الخزينة	18339	18695	21071	18673	21173	20590
II جملة تكاليف الدولة	48833	51804	55520	57291	60173	61665
1 نفقات الميزانية	40894	40203	44241	47166	48253	49498
2 نفقات الخزينة دون تمويل العجز	7939	11601	11279	10125	11920	12167

الاقتصاد حيث ذكر في دراسة له انه لا يمكن اعتماد التوجه نحو الدعم المباشر بشكل مفاجئ، من ناحية وان هذا التمشي غير ممكن مع نسب البطالة العالية جدا في البلاد، من ناحية أخرى.

كما واصلت وزارة المالية مغالطاتها معلنة ان دعم المحروقات شهد ارتفاعا هاما يفسر أساسا بارتفاع الطلب الداخلي مع تسجيل ارتفاع في سعر الصرف وارتفاع أسعار النفط بالأسواق العالمية وأن هدف برنامج الإصلاح بلوغ الأسعار الحقيقية في أفق سنة 2026 مع اتخاذ إجراءات موازية لحماية الفئات الهشة.

وتبرز البيانات الرسمية ان المحروقات تباع اليوم بأسعار اعلى من الأسعار الحقيقية بل ان احتكار ترويجها من قبل الدولة يوفر لها أرباحا جد هامة. ذلك انه وبالاستناد لنسب الجباية الموظفة على المحروقات وعلى توزيع الاستهلاك حسب كل صنف يتضح ان مداخيل الدولة من الأداء على الاستهلاك والأداء على القيمة المضافة تفوق بكثير ما تُقدّم الدولة من دعم خاصة في البنزين الخالي من الرصاص حيث تسجل حاليا ربحا بقيمة 505 مليمات عن اللتر والقازوال الخالي من الكبريت الذي تصل أرباح الدولة فيه الى 149 مليما عن اللتر بعد طرح الدعم.

اما بالنسبة للبترول المنزلي فرغم نسبته المرتفعة تبقى تكاليفه ضئيلة جدا في علاقة بنسبة استهلاك محدودة. وعلى مستوى القازوال العادي فان ما تجني الدولة من الأصناف الأولى يمكن أن يغطي دعم هذا الصنف بحساب 61 مليما عن اللتر الواحد.

المخاتلة الثالثة:
حوكمة المؤسسات العمومية

تم التأكيد، في هذا المحور، على ان الإصلاح سيتم عبر مراجعة سياسة مشاركة الدولة في رأسمال المؤسسات العمومية من خلال إصلاح استراتيجية مساهمة الدولة فيها وتعزيز الشراكة بين القطاعين العام والخاص والتفويت في المساهمات في المؤسسات العمومية غير الاستراتيجية. ولا تعدو هذه التصورات ان تكون سوى تمويها لمعرفة السلط بالتأكيد بان هذه المؤسسات هي تحت السطوة المباشرة لموظفيها من ناحية ولنقاباتهم النافذة الى ابعد الحدود من ناحية أخرى.

في جانب آخر، تشير وزارة المالية الى ان الإصلاحات تمر بالضرورة عبر إعادة هيكلة الوضع المالي للمؤسسات العمومية عبر تسوية الديون بين الدولة والشركات وتصفية الديون المتقاطعة بين المؤسسات العمومية حسب القطاع مثل الطاقة والصحة العمومية، والتدقيق في متخلدات المؤسسات العمومية الكبرى وإعادة جدولة الديون المصرفية في إطار برنامج شامل للإصلاح. غير ان هذه الاعمال تتطلب قرونا من الجهود المضنية نظرا لحالة الفوضى المحاسبية للمؤسسات العمومية علاوة على عدم وجود كفاءات يمكن ان تؤمن نجاح مثل هذه العمليات.

غير ان أغرب ما ورد في مخطط اصلاح حوكمة المؤسسات العمومية تمثل في عزم الحكومة الحالية مراجعة شروط التعيين ومستويات تأجير مديريها بمعنى مضاعفة هذه الأجور عشرات المرات مثل ما حدث منذ 2016 في البنوك العمومية حيث تفوق الأجرة الشهرية للمدير العام دون اعتبار الامتيازات العينية راتب رئيس الجمهورية. وبالتأكيد فان تمرير هذا الطرح سيكون بابا جديدا للمكافآت السياسية ومدخلا جديدا لتوطيد المحسوبية والمحاباة.

كما نصت توجهات الوزارة على مراجعة الإطار القانوني والتنظيمي وشروط مناظرات الانتداب الخارجية بمعنى تشريع خرق قوانين الانتداب المخروقة بطبعها منذ الازل فضلا عن انشاء نظام ترقية ومكافآت قائم على أساس "الكفاءة والجدارة" والأهداف بما يشرع الباب على مصراعيه للعطايا والمكافآت المشبوهة من المال العام.

TunisieValeurs
LA MAISON DE L'EPARGNANT

التونسية للأوراق المالية :

BH LEASING و WIFAK BANK... AMS ضمن أكبر الرابحين

منحى السوق

أنهى "تونداكس" الأسبوع الممتد من 7 الى 11 فيفري 2022 في المنطقة الخضراء مسجلا ارتفاعا طفيفا بـ 0,4 ٪ على امتداد الأسبوع في حدود 7124,29 نقطة. وأعاد المؤشر المرجعي بذلك نسبة أدائه المسجلة منذ بداية العام الى + 1,1 ٪ حسب تحليل الوسيط بالتونسية للأوراق المالية.

على مستوى المبادلات ورغم غياب صفقات بالكتل فقد شهد حجم المبادلات دعما مسنودا ليرتفع الى 48,3 مليون دينار طيلة أسبوع البورصة بما مثّل معدلا يوميا بـ9,7 ملايين دينار.

تحليل تطوّر الأسهم

• حقق سهم المعامل الآلية بالساحل AMS أفضل أداء في سوق الأسهم وسجل تقدما بـ 18,3 ٪ عند 0,970 دينارا بحجم 5 آلاف دينار.

• كان سهم إيجار BH BH LEASING ضمن أكبر الرابحين خلال الأسبوع المذكور وارتفع بنسبة 18٪ بقيمة 1,970 دينارا جاذبا مبادلات بـ 20 ألف دينار.

• سجّل سهم اسمنت بنزرت أكثر التراجعات حدّة. ووسط حجم مبادلات بلغ 3 آلاف دينار تدحرج السهم بـ 11,6 ٪ عند 1,600 دينار وسجلت الشركة منذ بداية العام انحسارا بـ - 22,6 ٪.

• تراجع سهم "سنيماد" SANIMED بـ 9,2 ٪ عند 2,170 دينارا في ظل مبادلات بـ 33 ألف دينار.

• كان سهم الوفاق الدولي للبنوك WIFAK INTERNATIONAL BANK الأكثر ديناميكية خلال الأسبوع المذكور وجمع تدفّق أموال بـ 20,6 مليون دينار بما مثّل 42,7 ٪ من حجم المبادلات المنجزة خلال الأسبوع.

أخبار السوق

• بورصة القيم المنقولة بتونس : تقرير حول تطور المؤشرات ومداخيل الشركات المدرجة بها :

اثر نشر مؤشرات نشاط أغلب الشركات المدرجة بالبورصة (باستثناء 5 شركات هي : المعامل الآلية بالساحل وشركة المغرب الدولي للاشهار والشركة الصناعية العامة للمصافي والشركة التونسية للصناعات الصيدلية والشركة القابضة يونيفرسال لتوزيع السيارات) أصدرت بورصة القيم المنقولة بتونس BOURSE DES VALEURS MOBILIÈRES DE TUNIS تقريرا حول تطوّر مؤشرات ومداخيل الشركات المدرجة بها.

ويظهر من خلال مؤشرات نشاط الشركات المدرجة أن مدخول الشركات الجملي شهد خلال عام 2021 ارتفاعا بـ 12,9 ٪ مقارنة بسنة 2020 ببلوغه 20,5 مليار دينار مقابل 18,2 مليار دينار في السنة الماضية وأن الحصة الجملية للعشرين شركة التي تكون "تونداكس20" بلغت 12,7 مليار دينار (أو 62 ٪ من المدخول الجملي) بما مثل ارتفاعا بـ 14,2٪ مقارنة بالعام الفارط.

وأضاف التقرير أن صافي المدخول الجملي للـ 12 بنكا المدرجة بالبورصة بلغ 5,533 مليارات دينار سنة 2021 مقابل 5,010 مليارات دينار سنة 2020 وأن ذلك مثل ارتفاعا ملحوظا بـ 10,4 ٪. وأشار التقرير الى أن صافي المدخول الجملي لشركات الايجار السبع المدرجة بالبورصة تطوّر خلال سنة 2021 بـ 5,5 ٪ مقارنة بعام 2020 وأنه بلغ تبعا لذلك 463 مليون دينار مقابل 439 مليون دينار. وبخصوص نشاط شركات التأمين الخمس أظهر التقرير أن المبلغ الجملي للأقساط التي تم إصدارها بلغ 1060 مليون دينار مقابل 1010 ملايين دينار سنة 2020 بما يمثل ارتفاعا بـ4,9 ٪.

كما اتضح أن القطاع المالي الذي يضم 27 شركة مدرجة بالبورصة والذي يمثل عصب رأسمال تلك الشركات حقق دخلا اجماليا بـ 7082 مليون مقابل 6489 مليون دينار سنة 2020 بما يمثل تطوّرا بـ 9,1 ٪.

وفي ما يتعلق بقطاع مواد الاستهلاك الذي يحتكر المرتبة الثانية في رأسمال البورصة بـ 14 شركة، كشف التقرير أن مجموع دخل المجامع الثلاثة الناشطة في مجال الصناعات الغذائية (مجموعة بولينا القابضة ومجمع دليس القابضة وشركة صنع المشروبات بتونس) ارتفع بما قدره 676 مليون دينار ليبلغ 5250 مليون دينار. وفضلا عن ذلك سجّل رقم المعاملات الجملي لوكالات السيارات الثلاث (لم تنشر الشركة العالمية لتوزيع السيارات القابضة UADH بعد مؤشراتها) قفزة بـ 31 ٪ مع حلول 31 ديسمبر 2021 ليبلغ 1041 مليون دينار مقابل 795 مليون دينار خلال نشاط 2020.

ووفق التقرير شهدت المداخيل اجمالا تطوّرا بـ 8 قطاعات على 9 محققة بذلك نتائج أفضل في قطاعات الصناعة (23,7 ٪) والمواد الأساسية (22,9 ٪) عكس قطاع الصحة الذي عرف تراجعا بـ 4,8 ٪.

وأوضح التقرير أن نسبة المشاركة الأجنبية تراجعت خلال سنة 2021 بـ 2,15 نقطة وأنها استقرت عند 23,1 ٪.

الشركات الأهلية وإغراء التجارب الاشتراكية

جمال بن جميع

تذكّرني فكرة بعث "شركات أهلية" بتجربة التعاضد الفاشلة لأحمد بن صالح.

فقد أثبتت تلك المرحلة المؤلمة والتي خلّفت جراحا في تاريخ تونس انه ليس للتعاضد مستقبل في تونس وأن الاستبداد يؤدي دائما إلى مأزق سياسي.

لم يقم اليسار التونسي أبدا بمراجعات حول تلك الحقبة المؤلمة من تاريخ تونس وإنّما نراه يواصل أحيانا إذكاء الحنين بل ويدفع نحو إعادة قراءة للتاريخ غريبة.

منعرج نويرة الليبيرالي

بعد عهد بن صالح، نجح الوزير الأول الهادي نويرة في إحداث منعرج ليبيرالي وإخراج الاقتصاد التونسي من "اقتصاد مخاتل" وكان يحلو له تذكير النقابيين بأن توزيع الثروة لا يكون إلاّ بعد خلقها.

تمت إعادة الاعتبار للمبادرة الخاصة وإدراجها بجدول أعمال الحكومة عبر انشاء صندوق للتشجيع على بعث المؤسسات مع التنصيص على تمكين كل صاحب مشروع مثمر من قرض بنكي بقيمة 200 ألف دينار مقابل دفع تسبقة بـ 6000 دينار.

ومثّل شبّاك إيداع المشاريع ردّا مفحما على البيروقراطية المتحجّرة وشهد الاقتصاد التونسي ازدهارا سريعا بنسبة نموّ بلغت 17,74 ٪ سنة 1972 وسمحت مجلة الاستثمار الجديدة آنذاك والمعروفة بقانون أفريل 1972 بإقلاع اقتصاد البلاد.

مكنت سياسة نويرة – رغم تحفظات نخبة تلك الحقبة – من توفير مواطن شغل قارة لجيش من العاطلين عن العمل وثبّتت صورة تونس كبلد مصدّر وكان يروق للهادي نويرة ترديد "لقد صوّت المطر لي" و"المعارضة مكوّنة من جوقة من التوّاقين للماضي الذين لا يقدرون سوى على تبوّل الخلّ".

أكذوبة السوفكوز والكلكوز

لقد روّج اليسار العالمي طيلة سنوات رؤية مثالية كاذبة عن النظام الفلاحي بروسيا ولكنّنا نعرف اليوم أن ما أشيع عن مدى إنتاجية "السوفكوز" (ضيعة دولية) و"الكلكوز" (تعاضدية) لم يكن سوى خدعة.

وحسب ملاحظين روس مطلعين على حقيقة الأوضاع ببلادهم كان الترويج لذلك من قبيل ذر الرماد على العيون اذ كان عمّال الدولة يحوّلون وجهة المعدات الفلاحية والسماد لاستغلالها في أراضيهم ويطعمون قطعانهم من أعلاف مسروقة من التعاضديات الفلاحية.

تجارب بلدان أمريكا اللاّتينية

كان اليسار بأمريكا اللاّتينية رائد تجارب الديمقراطية التشاركية وتركز الانتقال الديمقراطي حول أحزاب حاربت الدكتاتورية (الشيلي والأوروغواي) أو أسست اثر تجنيد المجتمع المدني والنقابات.

وقد عبّد الزلزال الذي شهده المكسيك سنة 1985 أو فوز النقابي "لولا" في الانتخابات يوم 27 أكتوبر 2002 الطريق لمشروع حمل اسم "تنمية للجميع" تمحور حول محاربة الفقر. وبلغت سياسة النموّ المستدام التي انطلقت عام 1972 اثر مؤتمري ستوكهولم وريو دي جانيرو سنة 1992 ذروتها خلال مؤتمر بورتو ألاغِر سنتي 2001 و2002 عبر إدانة العولمة المتوحشة والبحث عن عالم أكثر تناغم.

وهكذا وجد التضامن الجماعي أرضا خصبة للدفع نحو هبّة من الكرم لفائدة المحتاجين بهذه البلدان.

لكن ما يلاحظ هو أنه غالبا ما كان انشاء تعاضديات للإنتاج غير مربح بل وتسبّب في كوارث اذ أن وجود عدد مرتفع في المتدخلين في العملية يؤدي حتما الى صراعات تنتهي بفشل مثل هذه التجارب.

فعندما نعلم بأن وجود مجرّد نقابة بإحدى العمارات يؤدي غالبا الى بروز أغلبية معطّلة نفهم جيدا مدى تعقد نظام التعاضدية على مستوى القرى ويكفي أن نتصوّر وجود شركة أهلية متكونة من 600 أو 6000 مساهم لندرك أننا أمام نزاع وتعطّل دائم بفعل تضارب المصالح.

أما القول إن "رجل الأعمال الأكثر فسادا سيموّل مشاريع تنموية بأكثر الجهات فقرا" فهو فضيحة مخالفة للمبادئ العالمية لحقوق الانسان.

لكن لا شيء يمنع بعث صندوق جهوي للتنمية يتم تمويله من المبالغ المتأتية من الخطايا المحكوم بها على رجال أعمال اثر إدانة أو وساطة قضائية.

مثال البيرو

أنهى البيرو وهو أحد بلدان أمريكا اللاتينية سنة 2021 بنسبة نموّ بلغت 13,2 ٪. ويُعد هذا البلد الذي يحتل اقتصاده المرتبة السادسة في أمريكا اللاتينية ثاني منتج عالمي للنحاس وتزخر أراضيه بعدة ثروات مثل الفضة والذهب والقصدير والمولبدان والغاز والنفط. وفي عام 2021 خفضت وكالتا "موديز" و"فيتش" في ترقيم البيرو السيادي بسبب غموض الوضع السياسي به ووجود سوق موازية هامة الى جانب بنى تحتية مهترئة.

والبيرو من البلدان التي جرّبت تشريعات عزل رئيس منتخب خلال ولايته. وقد أدى ذلك الى تفريخ بؤر متخصصة في جمع المعلومات بالوشاية على أمل تأثيث ملف يدين الرئيس المنتخب والحصول على التواقيع الضرورية لخلعه. وتفسر هذه الوضعية المناخ المقرف السائد ببلد يعيش 10 ملايين من سكانه تحت خط الفقر.

مثال بنغلاديش

في عام 1976 أسّس المختص في الاقتصاد محمد يونوس أول بنك للقروض الصغيرة يسمى "بنك غرامين" أو "بنك القرى". وحصل يونوس الملقب بـ "بنكاجي الفقراء" عام 2006 على جائزة نوبل للسلام وتبلغ نسبة تسديد القروض بهذا النوع من البنوك 97 ٪ وقد لخّص رئيس لجنة جائزة نوبل بنوك القروض الصغيرة بأنها وسيلة لـ "الخروج من الفقر".

أمّا فكرة هذا النوع من البنوك فقد اختمرت في عقل محمد يونوس اثر المجاعة التي اجتاحت بنغلاديش عام 1974 وكان أوّل زبائنه 42 امرأة اقترضن ما يناهز 24 دولارا أمريكا. وتم استنساخ فكرة هذا النوع من البنوك في العديد من بلدان العالم واعترف بيل كلينتون بأنه استأنس بها لما كان حاكم ولاية أركنساس لاطلاق مشروع القروض الصغيرة لفائدة الفقراء واعترف أنه عمل في ذلك بالمثل القائل "الجداول الصغيرة تكوّن الأنهار الكبرى".

بث روح المسؤولية المواطنية

نرى من خلال هذه النظرة الخاطئة حول تجارب التنمية أن الفشل يلازم دائما المشاريع المملاة من فوق وأن سياسة التعاضد حتى وان كانت زاحفة تنتهي دوما بفشل ذريع وأن مفتاح النجاح يكمن دائما في تمكن شخص من إلهام مجموعة صغيرة بأفكاره. ولا يسعني بالمناسبة سوى توجيه تحية للاختراق الذي حققته مؤسسة "INSTADEEP" التونسية الناشـئة والمتخصصة في الذكاء الاصطناعي والتي تشارك في بعثها كل من كريم بغير وزهرة سليم.

فقد عرف المشرفان على هذه المؤسسة الناشئة كيف يُغريان شركات بيونتاك وغوغل ودوتش باهن وغيرها.

وتمكنت الشركة بذلك يوم 25 جانفي 2022 من جمع 100 مليون دولار من مستثمرين خواص مشهورين وتنوي الانتصاب خلال هذا العام بالأراضي الأمريكية.

في المحصلة يتضح أن مناخا اجتماعيا هادئا وعقدا اجتماعيا مبرما بعد التفاوض عليه هما مفتاح نجاح أي مشروع تنموي إضافة الى مقوّم يحفّز على فعالية النظام الاجتماعي يتمثل في ثقة لا تُملَى بالقوانين والمراسيم وتكون عنصرا مهمّا في تصرّف الفاعلين الاقتصاديين والسياسيين بكل عقلانية.

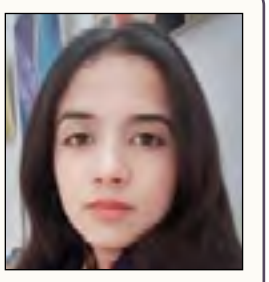

أزمة مؤسسة السجون والإصلاح

هالة بن إبراهيم (مجازة في ماجستير البحث - الوساطة وتقنيات التنشيط)

مرت الحياة الانسانية بعديد التجارب المتنوعة والثرية في سبيل تطوير طريقة العيش والرقي بمكانة الإنسان وبإنسانيته إلى أرقى ما يكون. ذلك أن الإنسان كان ولازال المسألة الأساسية التي تسعى العلوم الإنسانية في كل مرة إلى النبش في أسراره وحقيقته ومحاولة التعرف على مختلف المسائل الحياتية المحيطة به، فهو المحور الأساسي لهذا الكون وكل الأشياء الموجودة تدور حوله.

في رحلة البحث عن تطوير هذه الحياة كان لا بد من وجود نظام يحدد طريقة العيش وهو ما يعبر عنها بالقوانين، اي إرساء قوانين تكون بمثابة عقد اتفاق بين مجموعة بشرية تسن من خلاله جملة من الضوابط الإجتماعية التي تنبثق اساسا من ثقافة تلك المجموعة.

فعندما نتحدث عن ضوابط وقوانين، فإننا بذلك نتحدث عن وضع حد للحرية المطلقة ، وفي المقابل فرض ضوابط وقيود وحدود لهذه الحرية التي يمكن أن تتسبب إن تجاوزت عن الحد في ضرر للآخرين الذين يعيشون في نفس المجموعة .

وبالتالي فإن هذه القوانين جاءت للردع والحماية في ان واحد . وقد خصصنا هذا المقال للحديث عن هذه النقطة المحورية في تاريخ البشرية التي مرت بدورها بعدة مراحل عبر عصور مختلفة ، ونعني بهذه النقطة تحديدا مسألة « العقاب » وكل ما يحيط بها من إجراءات ومؤسسات ومشرفين عليها .وقبل التطرق إلى مراحل تطور هذا المصطلح ، فإنه لا بد لنا أولا أن نتطرق إلى مفهومه ، حيث تعتبر « العقوبة « رد فعل طبيعيا على أية جريمة كيفما كانت، وهي اقدم وسيلة لجأ إليها النظام الجبائي لردع المجرمين من عدة قرون ، وقد عرفت عدة تطورات في كل المجتمعات حيث كانت العقوبة في العصور الأولى تعرف بالعقوبة البدنية اي يتم هنا تطويع الجسد لتحمل مسؤولية الذنب والجرم المقترف . في حين تغيرت نظرة المجتمعات لمفهوم العقاب في العصور الوسطى وظهر ما يسمى بـــ THE WORKHOUSE إذ يتم من خلالها تسخير الطاقات البشرية سبيل تحقيق منافع اقتصادية، يتعلم من خلالها المسجون حرفا جديدة، ليتطور هذا المفهوم مجددا في مرحلة العصور الحديثة ويتحول مصطلح « العقاب « إلى مفهوم الإصلاح ، إذ نلاحظ من خلال هذه المراحل تطور هذا المصطلح الأخير من العقوبة الوحشية إلى العقوبة الإصلاحية التي تراعي إنسانية الإنسان أي المسجون وتهدف إلى إعادة إدماجه في المجتمع.

ففي مجتمعاتنا الراهنة تعتبر المؤسسة السجنية المكان الذي يقضي داخله المسجون فترة حكمه وذلك بعد أن يصدر القاضي الحكم النهائي في قضيته. حيث لامس علم الإجتماع وعلم النفس مسألة العالم السجني، إذ يعتبر السجن مكانا مغلقا يتجه إلى تجريد الشخص من حريته الخاصة بفعل قرار العدالة وإن كانت في ذلك مسألة العدالة مسألة نسبية إلى حد ما.

فكيف نفهم الدور الذي اضطلعت به المؤسسة السجنية في تونس طيلة هذه المدة ؟ وما مدى مساهمتها الفعلية في عملية الإصلاح؟ وإلى اي مدى كانت هيكلا إداريا قادرا على النهوض بواقع الجريمة في تونس؟.

إن ما يطرحه الواقع الإجتماعي التونسي من ارتفاع لنسبة الجريمة وتطور أشكالها وصورها يعكس لنا واقعا متأزما تعيشه المؤسسة السجنية ومحدودية قدرتها على تفعيل دورها الإصلاحي حيث بلغ عدد السجناء 24000 سجين سنة 2021 بما فاق نسبة طاقة الاستعاب بـــ 150 % ، وهو رقم مفزع حيث تبلغ كلفة السجين الواحد ما يقارب 40 دينارا في اليوم بما يعني أن كلفة السجناء تعادل 168 مليار في السنة .

فرغم ما تروج له وسائل الإعلام من إجراءات تشمل القانون الداخلي للمؤسسات السجنية على المستوى التعليمي كالورشات التعليمية التي تقدم للمساجين والتي يترتب عنها تحصيل فائدة تعليمية نفعية للسجين يتحصل من خلالها على مقابل مادي رمزي، وعلى المستوى الثقافي الترفيهي كالنوادي الثقافية التي يتم تركيزها هناك والتي لا يتم اعتمادها بصفة رسمية أو أحيانا لا يتم العمل بها وذلك رغم اثبات التجارب المتنوعة في السجون بالدور الذي اضطلعت به الفنون كالموسيقى والرسم والمسرح وغيرها في تحرير المساجين من الجريمة والعنف وفي المقابل ارساء روح جديدة حرة ومبدعة. فيكون بذلك النشاط الثقافي داخل المؤسسة السجنية مجرد وثيقة تستظهر بها المؤسسة السجنية أمام المنظمات الحقوقية المدافعة عن حقوق الإنسان وهو ما صرح به عدد من السجناء الذين أمضوا فترات من العقوبة السجنية حيث يتم اقتراح جملة من الأنشطة الثقافية على المساجين كالشطرنج وغيرها للتسجيل فيها بغاية المشاركة فيها، ولكن سرعان ما تنتهي هذه العملية في حدود مرحلة التسجيل ولا يتم استدعاء المساجين لهذه الأنشطة .يمكن أن نفسر ذلك بأننا لا نملك إلى حد اللحظة إيمانا كافيا بأهمية الفنون والثقافة في حياتنا ،هي درجة من الوعي لازالت منقوصة وغير حاضرة في اذهاننا. وبالتالي يقتصر النشاط السجني على الأنشطة الرياضية التي تكون بطريقة عشوائية لا يكون منظموها من ذوي الإختصاص وبالتالي يخلو هذا النشاط الأخير من دوره الترفيهي على المستوى النفسي ويقتصر على ذلك الإنهاك البدني أو ما يسمى بقتل الوقت. بل إن الكثير منهم يتجنبون المشاركة في هذه الأنشطة نظرا لرداءة ظروف الإستحمام اذ عادة ما يكون الماء باردا ويتسبب في مرض العديد منهم، اي اننا امام أزمة تغذي اخرى. فكم من سجين تعكرت صحته خلال فترة سجنه وهو الامر الذي يبرز لنا الاثار السلبية للسجن على المستوى الصحي . إن الأمر لا يقتصر على ظروف عيش مزرية فقط ، وإنما يطال مسألة العقاب داخل المؤسسة السجنية في حد ذاتها ، وهو ما يعرف بغرفة « السيلون « . هذه الحجرة التي يقضي داخلها المخترق للقوانين الداخلية فترة عقابه . حيث يتم وضع السجين داخل غرفة شديدة الضيق، فيها يقضي حاجته البشرية ، يتم إلزامه بارتداء قميص صيفي حتى وإن كان في فصل الشتاء دون غطاء طيلة النهار ، إلا بحلول الليل يتم مدّه بغطاء قذر غير قادر على مقاومة برد تلك الحجرة الضيقة . هذا بالإضافة إلى منعه من استقبال ما يسمى بـــ «القفة « التي تجلبها عائلة المسجون عند زيارته ومنعه من صرف المبلغ المالي الذي توفره له العائلة. وكأننا هنا وقد عاد بنا الزمن إلى العصور الأولى حيث كانت العقوبة البدنية هي الوسيلة للعقاب. هذا بالإضافة إلى العنف المعنوي الذي يتعرض له المسجون من قبل حراس الزنزانة عندما يطلب منهم مساعدة عندما تتعكر مثلا صحته فيكون الجواب الفاظا سوقية لا ترتقي إلى مستوى مسؤول داخل مؤسسة سجنية تسميتها الادارية «السجون والإصلاح». هنا لابد من التطرق إلى مسالة في غاية الأهمية وهي أن هؤلاء المسؤولين ليسوا من ذوي الاختصاص يعيّنون في هذه المؤسسات بمحض الصدفة دون الرجوع إلى مستوياتهم العلمية. بل إن الأمر يتجاوز ذلك، فحتى ذوي الإختصاص لا يتقنون التصرف مع هؤلاء المسجونين، فرغم ان مواد الدراسة في معظم الجامعات والأكاديميات الشرطية والمعاهد المتخصصة تتضمن منهجا في « علم العقاب « أو في « المنشآت الاصلاحية والعقابية « فإن ما يطرح في هذا المنهج يخلو من العلمية والمنهجية ويترك لميول وتخصص القائم بتدريسه.

وبالتالي ، فإن واقع المؤسسة السجنية في تونس هو واقع متأزم على عديد المستويات ، وهو ما تؤكده لنا نسبة العود التي بلغت 30 % وهي نسبة مرتفعة جدا تعكس لنا فشل مؤسسة السجون والإصلاح في القيام بدورها الإصلاحي والإدماجي .

نستنتج إذن أن مشكلة السجون هي مشكلة أساسية وعامة يشتغل العالم بدوله المختلفة على مواجهة اثارها المدمرة سواء بالنسبة للنزيل أو للمجتمع .

لذلك فإنه ثمة حاجة حقيقية لقيام علم اجتماع السجون والمؤسسات الاصلاحية حتى يتخصص في مسالة مجتمع السجن وثقافته وسلوكات النزلاء داخل السجن وإدارته واقتصادات السجون ويقدم تصورا علميا وأكاديميا لكيفية تدريس هذا التخصص الذي يدرس الان في كل الاكاديميات الشرطية بطرق عشوائية غير أكاديمية

السّوق السياسي

السوق السياسي إضافة تسعى «الشارع المغاربي» من خلالها إلى الخوض في الصور التي تُخامر أذهان التونسيين بشأن سياسييهم وشخصيّاتهم العامّة، بهدف متابعة مدى تطوّر أدائهم الملتصق أساسا باللحظة الراهنة. فليس المغزى من السوق السياسي القيام بتقييم صارم، فالذاتية ركن ركين في أيّ توصيف لأداء الغير. وقد يرقى من رأيناه هنا والآن حبيسا في مرتبة الرديء إلى عتبة المتوسّط أو حتّى الحسن... دمتم أهلا وسهلا في سوقنا...

✔ الفاهم بن يفهم

حسن جدّا

الطبيب وجيه ذكار

في وقت يصر المئات من الأطباء على مغادرة البلاد فرادى وجماعات إلى بلدان أوروبية لعدة أسباب منها صعوبات تتعلق بمباشرة أعمالهم في ظروف طيبة فضّل آخرون البقاء ومحاولة الإصلاح دفاعا عن منظومة الصحة العمومية التي كانت احدى مفاخر الدولة الوطنية ومنهم الطبيب الشاب وجيه ذكار الذي لم تكتف بمتابعة تدحرج قطاع الصحة إلى عصبية قطاعية مقيتة.

وجيه ذكار الذي حاول مرارا التنديد بما وصفه "استهتارا بأرواح المرضى" لا يستحق علامة "حسن جدا" هذا الأسبوع فحسب وإنما يمكن اعتباره مثالا لكل ما تحمل مهنة الطبيب من نبل ولكل ما يختزل العمل في أجهزة الدولة ومرافقها من انضباط وتفان ومن قيم إنسانية وذلك عبر نشر تدوينات على صفحته بموقع "فايسبوك".

المساعي الفردية التي ما فتئ يبذلها الطبيب بمستشفى شارل نيكول لم ترق لبعض الممرضين. ففي ظل انفلات وتسيب وحوكمة سيئة صلب المؤسسة الصحية رفض عدد منهم العمل مع الطبيب في نفس القسم قبل ان يتعمد احدهم الاعتداء عليه بالعنف أثناء تحوله الى وزارة الصحة لتقديم تقرير عن حالة الإهمال التي باتت تهدد حياة المرضى بالقسم.

ورغم مدها سابقا بتقارير حول شبهات سرقة وتحرش واعتداء بالعنف لم تحرك التفقدية العامة للصحة ولا إدارة المستشفى ساكنا.

واللافت في قضية الاعتداء أنها تطورت لدرجة تهديد طبيبة ثانية كانت شاهدة على الاعتداء في محاولة لثنيها عن الإدلاء بشهادتها.

في الأثناء تأتي حادثة الاعتداء على الطبيب من قبل احد زملائه لتطرح أكثر من سؤال حول مسؤولية الإدارة والوزارة في فرض الانضباط واحترام الكوادر الطبية في قطاع يعاني بدوره من شح كبير في الموارد البشرية.

رديء جدّا

وديع الجريء

في كلّ مرّة يقترن فيها الحديث عن المنتخب الوطني لكرة القدم يبدو لزاما الدفع برئيس الجامعة التونسية لكرة القدم وديع الجريء في مربّع النزول. فالرجل لا يتوانى لحظة في جذب كرة القدم التونسية الى الوراء بسبب قراراته الارتجالية والعشوائية والتي كثيرا ما تسببت في تعطيل قاطرة المنتخب وتحويل نجاحاته النسبية الى اخفاقات حقيقية.

الجريء الذي لم يعد بعد الى تونس منذ تحوّله الى الكاميرون ساعات قليلة قبل انطلاق فعاليات الكان يواصل عزفه المنفرد وابحاره عكس اتجاه الريح في محاولة منه للاستحواذ على كلّ مفاصل المنتخب وحتى لا يتسرّب الى داخله بعض العصاة أو المارقين عن النظام الداخلي. الرجل لم يتحرّج من إعفاء الناخب الوطني المنذر كبير بتلك الطريقة الوقحة بل زاد في تقبيح المشهد الكروي بقرارات جديدة ما أنزل الله بها من سلطان. رئيس الجامعة قرّر تصعيد المدرّب المساعد الثالث للمنتخب جلال القادري الى سدّة التسيير في بنك المنتخب. القادري الذي كان مدرّبا ثالثا في الترتيب التفاضلي وجد نفسه بقدرة قادر مدرّبا أوّلا اياما قليلة قبل مباراة مصيرية عنوانها باراج المونديال أمام المنتخب المالي. هكذا بلا تقييم فني ودون الاستناد الى تجارب تدريبية واسعة وشهائد علمية ناجحة وجد الجريء في القادري الاسم المناسب لقيادة سرب النسور وهو المدرّب الذي لم يعرف طيلة مسيرته التدريبية أيّة محطات كبيرة تشفع له بالتواجد في مثل هذا المنصب. لم يكتف الجريء بذلك بل جلب الى القادري مساعدين اثنين مازالا يكتشفان بكلّ حياء دهاليز التدريب. الحديث هنا عن الثنائي علي بومنيجل وسليم بن عاشور فرغم الاجماع الحاصل على قيمتهما الكروية أثناء مرورهما بتشكيلة المنتخب فإنهما لا يملكان في سيرتهما الذاتية التدريبية ما يجعلانهما مؤهلين لتدريب المنتخب.

ويبدو من خلال هذه القرارات الغريبة والعجيبة للجريء أنّ الرجل لا يبالي بكل ما يقال من حوله ويتأكد مرّة أخرى انه لم يتعلّم من أخطائه وبأنه مازال مصرّا على التمادي في عناده معتبرا المنتخب ملكا شخصيا له يحقّ له التغيير والتنصيب والتعيين متى شاء وكيف ما شاء دون أسس او اعتبارات موضوعية أو منطقية.

قالوا

قيس سعيد

مع الاسف العدالة اليوم في ظاهرها وظيفة مستقلة ولكنها في الواقع لا كالقضايا الجارية منذ سنوات عديدة ولم يتم الحسم فيها من قبل القضاة الذين يدعون أنهم يتمتعون بالاستقلالية وان لهم سلطة تفوق كل السلط ..لهم وظيفة في اطار الدستور... عليهم فقط ان يطبقوا القانون على الجميع بكل حياد....لي ملفات كثيرة حول الاموال التي تلقاها البعض وهي أموال تفوق الخيال وبعد ذلك يقولون انهم مستقلون ولا رقابة عليهم ...مرة أخرى القضاء وظيفة وليس سلطة وكل القضاة خاضعون للقانون ..لا يمكن ان تكون هناك دولة خارج الدولة التونسية ومن يدعي العلم في بعض وسائل الاعلام أريد ان أحيله الى ما كتب حول هذه المسألة في الفكر العربي وليس في الفكر الغربي الذي يدعي معرفته ..ليعد الى "رسالة العدل" لابن مسكويه لينظر في ماهية العدل وكيف يتحقق العدل.

يوسف بوزاخر

سعيّد خالف الدستور في تمكين السلطة التنفيذية من التدخّل في المسارات المهنية للقضاة ويمكن للسلطة التنفيذية حسب هذا المرسوم الاعتراض على تسمية قضاة ورفض تسمية آخرين والتدخل في المسارات التأديبية للقضاة وفي إعفائهم.... المرسوم مخالف لأحكام الأمر 117 الذي استند عليه باعتبار أنّه يتعلق بتدابير استثنائية للسلطة التنفيذية والسلطة التشريعية وأنه من قبيل الإصلاحات السياسية التي تؤطّرها أحكام الفصل 22 من الأمر المذكور والذي ينصّ على إجراء مشاورات واستشارات في ذلك والتشاركية في القرار وهذا لم يتم.

رضا الرداوي

مسيرة راشد الغنوشي رئيس حركة النهضة في خيانة هذا الوطن بدات منذ 10 سنوات وربما قبل ذلك وسيتم التركيز على ما قام به بعد الثورة في علاقة بالاغتيالات السياسية وبالجهاز السري المالي للنهضة وكيف باع الغنوشي تونس وترابها مقابل مبالغ مالية من الاورو والدولار يتم ايداعها في حساباته بقطر من قبل الديوان الاميري القطري.... المبالغ تتجاوز 15 مليون دولار وفي حسابات اخرى 20 مليون دولار والكثير من الاموال وهذه الاموال كانت تنقل الى تونس نقدا لما كان علي العريض يسيطر على قاعة التشريفات بمطار تونس قرطاج .

صورة تتحدث

قيس سعيد : آش عاملة مدام بودن في تمويل الميزانية؟ وين وصلت؟

بودن : العَمَالْ على ربي وعلى صندوق النقد الدولي.

سعيد : واذا فشلت المفاوضات معاه؟

بودن : نستقيل سيدي الرئيس.

سعيد (في قلبو) : هذاك فاش نستنّى.

سعيد : وانت السيدة وزيرة العدل، آش عاملة مع القضاة الفاسدين؟

ليلى جفال : هاني نتفارع معاهم سيدي الرئيس.

سعيد : ان شاء الله ما يغلبوكش.

ليلى جفال : اذا كان غلبوني نستقيل سيدي الرئيس.

سعيد (في قلبو) : في لمان.

(حوار من وحي الخيال)

ليبيا بين شرعيتين :

ماذا وراء «الانقلاب» على حكومة الدبيبة؟

الحبيب القيزاني

باشاغا والدبيبة : ماذا وراء معركة الشرعية؟

فجأة وبلا مقدمات أطلّ شبح العودة إلى مربع الحرب الأهلية وربما الانقسام برأسه في ليبيا. فيوم الخميس الماضي أعلنت لجنتا مجلسي النواب والدولة عن خارطة طريق تؤدي إلى تغيير الحكومة والاتفاق على المسار الدستوري بتشكيل لجنة للنظر في مشروع الدستور وتقديمه للاستفتاء. وبناء على ذلك تمّ اختيار فتحي باشاغا رئيسا للحكومة الجديدة. بالتوازي مع ذلك أعلن مجلس النواب عن اصدار التعديل 12 لتعديل الفقرة 12 من المادة 30 من الإعلان الدستوري وعن تشكيل لجنة من 24 عضوا من الخبراء مناصفة بين الأقاليم الثلاثة.

وبينما أعلن أحمد المسماري الناطق باسم قوات خليفة حفتر تأييده لاختيار فتحي باشاغا رئيسا للحكومة الجديدة رفض رئيس حكومة الوحدة الوطنية الحالية عبد الحميد الدبيبة تسليم السلطة متّهما "الاخوان والعسكر" بالتآمر على حكومته لاخراجه من المشهد السياسي بعد تعثر اجراء الانتخابات الرئاسية والبرلمانية في ديسمبر الماضي. فهل تشهد البلاد صراعا على الشرعية بين حكومة في طرابلس وأخرى في طبرق؟ وهل يتردّى الوضع في مأزق يستوجب اللجوء للسلاح؟ وماذا عن القوى الخارجية الداعمة لهذا الطرف أو ذاك؟

رفض الدبيبة الاستسلام للأمر الواقع

وقال يوم أمس في ندوة صحفية : "لن نعود للوراء حتى الوصول الى محطة الانتخابات" مضيفا : "لن نرهن مستقبلنا لمن عطلوا العملية الانتخابية والذين لا يهمّهم سوى التمديد لأنفسهم" مؤكدا أن "قطار الانتخابات انطلق" وأنه "لن يتم السماح بتمرير مؤامرة التمديد مرّة أخرى".

أما الناطق باسم حكومة الوحدة الوطنية فقد شدّد على أن "الحكومة تتمتع بالشرعية القانونية محليا ودوليا" وعلى أنها "مستمرة الى حين التسليم لحكومة منتخبة" ملاحظا أن "تسليم وتكليف رئيس الحكومة من اختصاص رئاسة الدولة أي المجلس الرئاسي" وعلى أن ذلك "محدّد في الإعلان الدستوري".

وكان الدبيبة قد شبه يوم الجمعة الفارط في مقابلة مع قناة "ليبيا الأحرار" اختيار النواب حكومة جديدة بـ "محاولة لدخول طرابلس بالقوة" قبل أن يضيف : "كنت ولا زلت رافضا لمحاولات جرّ الليبيين الى حرب جديدة.. أهل طرابلس سيدافعون عن أنفسهم".

على الجانب الآخر قال فتحي باشاغا صباح يوم أمس في كلمة متلفزة : "لدينا مشاورات يومية مع مجلسي النواب والدولة والمجلس الرئاسي ومؤسسات المجتمع المدني والمثقفين والأكاديميين والشباب الذين اعتمد عليهم بشكل أساسي في تشكيل الحكومة المقبلة والتي ستترجم المعنى الحقيقي للمشاركة السياسية الفاعلة من جميع الأطراف شرقا وغربا. وأضاف باشاغا : "اليوم أدركنا أننا مخطئون باعتقاد كل منا أنه قد يُلغي الآخر، وأن أحدا منا يمتلك الحقيقة دون غيره. قيمتنا في تنوّعنا، وقوتنا في توحّدنا، ومصيرنا ومستقبلنا واحد، وليس لنا سوى العيش مجتمعين. وفي هذه الأيام شهدنا توافقا تاريخيا بين مجلسي النواب والدولة، وتم تتويج هذه الجهود بقرار شجاع يتمثل في تعديلات دستورية تحدّد الآليات والآجال بشأن العملية الانتخابية، وتشكيل حكومة بقرار وطني ليبي وطريقة ديمقراطية".

وقد أثار قرار اختيار باشاغا رئيسا للحكومة الجديدة ردود فعل متضاربة. من ذلك اعتبار المحلل السياسي الليبي جبريل الزوي ذلك "مخالفا لاتفاق جنيف" وأنه تبعا لذلك "يحق للدبيبة التمسك بمنصبه" مضيفا في حلقة يوم الجمعة الماضي من برنامج "ما وراء الخبر" أن ما تم يوم الخميس "كان باتفاق مع خليفة حفتر الذي سيحصل على نصيب الأسد في الحكومة القادمة" مما أثار تساؤلات عما اذا كان حفتر قد حصل على دعم عربي وغربي للوصول إلى أعلى هرم السلطة بليبيا عبر خطوات مدروسة وممهد لها بطرق ملتوية.

واتهم الزوي أطرافا محلية وإقليمية بـ "العمل على الإطاحة بالدبيبة منذ فترة" وبأن ما تم "كان باشراف المخابرات المصرية" ملاحظا أنه "من الصعب العودة الى القضاء باعتبار أن مؤسسة القضاء معطّلة" وأن ذلك "يعقد الفصل في هذا الأمر بصورة تامة".

في المقابل برّر المحلل السياسي وليد أرتيمة قرار البرلمان بأنه "قائم على تعديل الإعلان الدستوري الذي تم بالتوافق مع المجلس الأعلى للدولة ومجلس النواب" معتبرا أن تعيين باشاغا "يمثل الخطوة الأولى في تنفيذ اتفاق خارطة الطريق المعلنة بين البرلمان والمجلس الأعلى للدولة" وأن ليبيا "دخلت بهذه الخطوة مرحلة ما بعد حكومة الوحدة الوطنية" وأن "ما تبقى هو تشكيل الحكومة ومنحها الثقة من البرلمان".

على الصعيد الخارجي قالت كلوديا كازيني الخبيرة في الشأن الليبي بـ "مجموعة الأزمات الدولية" : "سنرى خلافا حول من هي الحكومة الشرعية وسنرى فوضى في المؤسسات لفترة من الزمن".

وإن دعا أمين عام الأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش في بيان صادر عنه يوم الجمعة الماضي الأطراف الليبية الى "المحافظة على استقرار بلدهم" فإنه لم يشر الى اسمي الدبيبة وباشاغا. كما لم يكرّر ما صرّح به المتحدث باسمه يوم الخميس بأن الأمم المتحدة تستمر في دعم الدبيبة بوصفه رئيس وزراء انتقاليا مكلفا بإدارة شؤون البلاد.

موقع "العربي الجديد" نقل عن مصادر مصرية قال إنها مقربة من اللجنة المعنية بالملف الليبي قولها إن هناك حالة من الاستياء المصري بسبب فشل فرنسا في تنفيذ اتفاق مسبق بين القاهرة وباريس بشأن اطلاعها على تغيير موقف المستشارة الخاصة للأمين العام للأمم المتحدة في ليبيا ستيفاني ويليامز واقناعها بقبول خطوة مجلس النواب وأن ذلك لم يتحقق.

وقالت المصادر حسب "العربي الجديد" إن وليامز أودعت تقريرا لدى الأمم المتحدة تضمن التنبيه إلى خطورة التطور الأخير، معتبرة أنه لا يصب بأي حال في مصلحة استقرار المنطقة، مضيفة أن التحركات

الأممية الداعمة لحكومة الوحدة الوطنية باتت قريبة من تحقيق أهدافها بإجراء الانتخابات قبل جوان المقبل.

وأضافت المصادر أن وليامز أكدت في تقريرها أنها توصلت إلى ضمانات مع الدبيبة لإجراء الاستحقاقات الانتخابية قبل جوان، معتبرة أن من شأن تسمية رئيس جديد للحكومة الانتقالية مدّ أجل الانقسام، وأن ذلك سيكون بمثابة إنهاء لمسار الانتخابات وفق تعبيرها.

وأكدت المصادر المصرية لـ"العربي الجديد" أن القاهرة فوجئت بموقف وليامز، الذي جاء على الرغم من الوعود الفرنسية بتغيير موقفها، وكذلك إقناع الإدارة الأمريكية بالتخلي عن الدبيبة، مبينة أن التطورات الأخيرة التي أعقبت إعلان باشاغا رئيسا لحكومة جديدة "باتت تمثل خطوة بالغة الخطورة على المصالح المصرية."

وأوضحت المصادر أن هناك استياء مصريا آخر تجاه باشاغا، لأن القاهرة ترى أنه ضلّلها بالتعاون مع فرنسا، بعدما أكد خلال زيارة سريعة للقاهرة سبقت جلسة البرلمان بـ48 ساعة، ترتيب الأمور على المستوى الداخلي بشأن القوى الفاعلة في غرب ليبيا، لإعلانها دعم القرار فور الإعلان عنه، وعلى رأسها مكونات مصراتة.

وكشفت المصادر أن باشاغا حاول خلال الساعات الأخيرة ترتيب لقاء مع رئيس جهاز المخابرات العامة المصري اللواء عباس كامل والتواصل معه بشكل مباشر وأن ذلك لم يحصل، قائلة إن القاهرة تبحث عن مخرج في الوقت الراهن للأزمة، التي قد تؤدي إلى انقسام المشهد الليبي، إذا استطاع الدبيبة تثبيت موقفه بدعم من الأمم المتحدة وقوى دولية أخرى.

وأشارت المصادر المصرية في هذا السياق، إلى أن الإمارات حافظت على مسك العصا من الوسط، وانها رغم دعمها التحركات الخاصة بتكليف باشاغا برئاسة الحكومة أبقت على قنوات تواصل داعمة مع تركيا لحكومة الدبيبة، حتى لا تجد نفسها في موقف تصادمي مع أنقرة في وقت تشهد العلاقات بين البلدين تطورات كبيرة.

في موسكو قالت المتحدثة باسم الخارجية الروسية "ماريا زاخاروفا" إنهم يراقبون الوضع الليبي عن كثب نظرا لما سمته الحساسية السياسية الداخلية في البلاد.

وأضافت "زاخاروفا" في مؤتمر صحفي، إن ما حدث طبيعي ويجب احترام هذا الاختيار للبرلمانيين الليبيين وفق تعبيرها، مشددة على ضرورة ألا تؤدي التناقضات بين الليبيين إلى صراع خطير، ودعت إلى التفاوض وتسوية الخلافات في ما بينهم.

السؤال المطروح وسط هذه التجاذبات هو: هل يخفي "الانقلاب" على حكومة الدبيبة "طبخة" دولية فرضتها مستجدات جغراسياسية ربما تكون على علاقة بالأزمة القائمة بين الحلف الأطلسي وأساسا أمريكا من جهة وروسيا من جهة أخرى؟ بمعنى آخر هل ما حدث هو محاولة لفرض الأمر الواقع أملته ترتيبات طارئة لضخّ أكثر ما يمكن من النفط الليبي لأوروبا استعدادا لمقاطعة امدادات النفط الروسي عبر "نورثستريم2" وهو الهدف الذي تبحث عنه واشنطن سواء وقعت حرب أوكرانيا أم لم تقع؟

واذا كان الأمر كذلك هل وقّعت أمريكا باعتبارها اللاعب الأساسي في كل أزمة دولية اتفاقا سريا مع حكام طبرق للحصول على قواعد وتسهيلات بحرية لأسطولها السادس مقابل تزكية وصولهم للسلطة؟

وانطلاقا من ذلك هل كان "الغضب" المصري على باشاغا مجرد مسرحية ومناورة لتبرئة ذمة القاهرة من الانقلاب على حكومة الدبيبة التي ينص اتفاق جنيف على بقائها الى جوان المقبل؟ ولماذا لزمت تركيا الصمت؟

سؤال آخر: هل تلقت واشنطن والعواصم الغربية ردّا سلبيا على اقتراحها تعويض امدادات النفط الروسي بالنفط الجزائري خصوصا ان الجزائر حليفة استراتيجية لروسيا؟

الأيام القادمة وحدها جديرة بالإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها لكن الثابت أن تاريخ الدول كان خلال الـ 150 عاما الماضية ولا يزال هو التاريخ السرّي للنفط في العالم وكل المؤشرات تدل على أن ليبيا لن تكون من هذه الزاوية استثناء.

صواريخ روسية على الحدود مع أوكرانيا

موسكو: لن نغزو أوكرانيا "إلا إذا تم استفزازنا"

أكد سفير روسيا لدى الاتحاد الأوروبي فلاديمير تشيجوف أن بلاده "لن تغزو أوكرانيا إلا إذ تم استفزازها".

ونقلت صحيفة "ذي غارديان" عن تشيجوف قوله يوم امس الاثنين "لن نغزو أوكرانيا إلا إذا تم استفزازنا لفعل ذلك".

وأضاف تشيجوف الذي يمثل روسيا في بروكسل منذ 2005 "إذا شن الأوكرانيون هجوماً على روسيا لا تتفاجؤوا إذا قمنا بهجوم مضاد أو إذا باشروا بقتل مواطنين روس بوقاحة في أي مكان، في دونباس أو في مكان آخر"، في إشارة إلى المنطقة الشرقية في أوكرانيا حيث يقاتل انفصاليون موالون لروسيا القوات الأوكرانية منذ ثماني سنوات.

وحذّر تشيجوف من أنّ "استفزازاً" أوكرانياً قد يدفع الكرملين إلى التصرف.

وأضاف "ما أعنيه باستفزاز أنه يمكنهم افتعال حادثةٍ ضد الجمهوريات المعلنة في دونباس، استفزازها، ومن ثم ضربها بقوة، مثيرين ردة فعل روسيا لتتفادى كارثة انسانية عند حدودها".

ويتزايد القلق من اندلاع نزاع كبير في أوروبا مع حشد أكثر من 100 ألف جندي روسي عند الحدود الأوكرانية.

ولطالما نفت موسكو وجود نية هجومية لديها، علماً أنها ضمّت شبه جزيرة القرم في 2014 من أوكرانيا، وتدعم انفصاليين موالين لها في شرق هذا البلد.

وتقول روسيا في المقابل إنها مهددة بتوسع حلف شمال الأطلسي في أوروبا الشرقية وتطالب بـ"ضمانات أمنية" منها عدم اوكرانيا الى الناتو.

صحفي أمريكي يهاجم إدارة بايدن ويتهمها بالتهور

هاجم الإعلامي الأمريكي تاكر كارلسون إدارة رئيس الولايات المتحدة جو بايدن متهما اياها بجر البلاد إلى صراع عسكري مع روسيا بشأن أوكرانيا.

ووصف كارلسون إدارة الرئيس الأمريكي بالتهور وانعدام المنطق.

وأوضح أن "القتال ضد روسيا لا يعني قصف معمر القذافي بطائرات بلا طيار معتبرا انه يمكن لمثل هذه المواجهة أن تخرج عن نطاق السيطرة بسرعة مشيرا الى ان جيش بلاده سيعتمد على جنرالات فشلوا في هزم طالبان.

تاكر كارلسون

ولفت إلى أن خليفة الاتحاد السوفياتي يمتلك أسلحة نووية والى ان أراضيه محمية من قبل جيش قال انه يفوق في قوته كل الجيوش المشتركة التي كان على الولايات المتحدة أن تقاتلها خلال نصف القرن الماضي.

وتساؤل الإعلامي في قناة "فوكس" نيوز، عما إن كان الصراع المحتمل سيجعل الولايات المتحدة "أكثر ثراء وأقوى"ملاحظا بالقول: لماذا تبدو اوروبا اقل اهتماما بالمخاوف من غزو اوكرانيا من الادارة الامريكية اذا كانت روسيا تشكل حقا تهديدا خطيرا لها؟»

وخلص الى القول «لا يمكن استخدام الخطابات حول ضرورة حماية الأوروبيين إلا كذريعة لمشاركة الولايات المتحدة في الحرب، بينما الأهداف الحقيقية مخفية بعناية عن المواطنين الأمريكيين».

وتتهم الولايات المتحدة ودول غربية روسيا بالتحضير لهجوم عسكري على أوكرانيا، وهو ما نفته موسكو في مناسبات عدة، معتبرة أن الاتهامات ذريعة لزيادة الحضور العسكري للحلف بالقرب من حدودها.

وتطالب موسكو بضمانات حول عدم توسع حلف الناتو شرقاً نحو حدودها، وعدم إنشاء قواعد عسكرية في جمهوريات الاتحاد السوفياتي السابق.

الجزائر تضغط على أوروبا لاستعادة مليارات الدولارات المهربة

أكدت صحيفة "الشروق الجزائرية" الصادرة أول أمس الاحد ان الجزائر تستغل موقعها الهام الذي أصبحت عليه بسبب الغاز وأزمة أوكرانيا، وبدأت تطالب الدول الأوروبية بإعادة الأموال المنهوبة المودعة في بنوكها والمقدرة حسب الصحيفة بعشرات المليارات من الدولارات.

وأشارت الجريدة الى ان الجزائر فتحت مباحثات مع اسبانيا لاستعادة ممتلكات المسؤولين ورجال الأعمال الجزائريين المعتقلين على خلفية الفساد في الجزائر مبرزة ان اسبانيا تعد من الدول الرئيسية في أوروبا الى جانب سويسرا وفرنسا التي استقبلت أموال وزراء سابقين ورجال أعمال.

وكشفت ان وزير العدل عبد الرحيم طبي أدى يومي الأربعاء والخميس الماضيين زيارة الى مدريد قالت انه تناول خلالها مع المسؤولين الإسبان ملف رجال الأعمال والسياسيين الذين اودعوا أموالا في البنوك الإسبانية واشتروا عقارات خصوصا بعدما سنت اسبانيا سنة 2012 قانونا يمنح الإقامة الى كل أجنبي اقتنى عقارا بما يفوق 250 ألف اورو.

وكانت الجزائر قد أحبطت بتنسيق مع القضاء الإسباني مؤخرا عملية بيع ثلاثة فنادق فاخرة على ملك علي حداد أبرز وجوه رجال الأعمال في حقبة الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة والذي كان مقربا من شقيقه السعيد.

وتركز الجزائر على اسبانيا بعد نجاحها في استعادة شقق فاخرة وقصور وفنادق على ملك مسؤولين جزائريين اقتنوها في فرنسا. وكان من ضمن الذين جرت مصادرة ممتلكاتهم في فرنسا رئيس الحكومة السابق عبد المالك سلال.

يذكر ان الرئيس الحالي عبد المجيد تبون كان قد تعهد خلال الحملة الانتخابية باستعادة الأموال المنهوبة في الخارج، وبدأ بفرنسا وجعل من شروط المصالحة معها استعادة هذه الأموال.

وحسب «الشروق» تقدر الأموال المنهوبة التي تم وضعها في حسابات بنكية بسويسرا وفرنسا وإيرلندا واسبانيا والصين وبنما وبريطانيا وألمانيا وكندا بعشرات المليارات من الدولارات، وتم نهب الحصة الكبيرة خلال حقبة عبد العزيز بوتفليقة، ونهج المهربون تضخيم الفواتير وعمليات الاستيراد الوهمية في الخارج والتلاعب بالعملة.

وتريد الجزائر من استعادة عشرات المليارات من الدولارات تعزيز احتياطيها من العملة الصعبة ومنع التهريب مستقبلا، وتدرك أهميتها لدى أوروبا بسبب الغاز، وتضغط وتستغل الظرف لاستعادة الأموال المنهوبة.

صحيفة «إلْ إسبانيول»: لا يحق لمدريد إعادة بيع الغاز الجزائري إلى دول أخرى

قالت صحيفة «إلْ إسبانيول» إن «العلاقات التجارية لتوريد الغاز بين الجزائر واسبانيا واضحة» وانه لا يمكن لمدريد بيعه للمغرب باعتبار ان العقد المبرم مع الجزائر لبيع الغاز يشمل بندا يمنع إعادة بيعه إلى دول ثالثة».

وأضافت الصحيفة «رغم أن إسبانيا تسمح باستخدام انبوب الغاز الذي أغلق في نوفمبر الماضي لجلب الغاز إلى المغرب فليس من الممكن أن يكون هذا الغاز جزائريًا وذلك منصوص في العقد».

يذكر ان الجزائر قطعت عن المغرب امدادات الغاز إثر الازمة الدبلوماسية التي نشبت بين الدولتين بعد التطبيع بين الرباط وتل ابيب والذي رأت فيه الجزائر استهدافا لأمنها القومي باعتبارها لا تعترف بوجود اسرائيل.

ملكة الذهب الأبيض

كريستا شوينغ رئيسة اللجنة الاقتصادية والاجتماعية الأوروبية اعترفت خلال الملتقى الذي انتظم يوم 31 جانفي الماضي ببروكسيل حول مستقبل أوروبا أن القارة العجوز رهينة لدى بقية دول العالم في ما يخص المواد الأساسية مشدّدة على أن المواد الحساسة منها تلعب دورا هاما لضمان استقلالية استراتيجية أوروبية في اطار التحوّل الرقمي للصناعات الاوروبية وانتقالها الى مرحلة العمل بطاقات صديقة للبيئة وعلى أهمية ضمان توفرها والوصول اليها مع إنشاء سوق أوروبية للمواد الأولية الثانوية.

تياري بروتون المندوب الأوروبي المكلف بالسوق الداخلية أعلم المشاركين في الملتقى في رسالة وجهها لهم في فيديو مسجل بأن أوروبا «ستكون من الآن والى حدود عام 2050 في حاجة إلى كمية من الليثيوم تفوق بـ60 مرة استهلاكها منه حاليا وذلك لشحن بطاريات الكهرباء المطلوبة للسيارات الجديدة.

وقد اتضح من خلال مداخلات المشاركين في الملتقى ان استراليا أضحت أكبر منتج لليثيوم. كما اتضح أنه اذا كانت 59 ٪ من احتياطيات هذا المعدن تتواجد بأمريكا اللاتينية وأساسا في الشيلي فإن دولة مالي بصدد التحوّل الى «ملكة الذهب الأبيض» (الليثيوم).

وكالة ECOFIN المتخصصة في اخبار افريقيا الاقتصادية أفادت بأن مجمعا استراليا-صينيا سيتولى استخراج الليثيوم من أكبر منجم في مالي مشيرة إلى أن اتفاقا حصل بين شركة المعادن الاسترالية Firefinch Limited والشركة الصينية Ganfeng Lithium على بناء مصنع لذلك بمنطقة غولمينا الواقعة على بعد 150 كلم من العاصمة باماكو.

وحسب الوكالة المذكورة توقعت دراسة نشرت في ديسمبر 2021 أن يبلغ انتاج المنجم سنويا 726 ألف طن من معدن سبودومين وهو حجر صوان من الألومنيوم والليثيوم.

تحذير

«على واشنطن الكفّ عن تسليم تايوان أسلحة وليس هناك في العالم سوى صين واحدة بما فيها تايوان».

بهذه الكلمات ردّ الناطق الرسمي باسم وزارة الدفاع الصينية على تصريح وزارة الخارجية الامريكية محذّرا إياها من نية عرض الاتفاق الموقع بين واشنطن وتايوان القاضي بتعهد مستشارين عسكريين أمريكان بصيانة منظومات الدفاع الجوي «باتريوت» المسلمة للجزيرة مقابل 100 مليون دولار على مصادقة الكونغرس.

ورغم تأكيد جو بايدن لنظيره الصيني العام الفارط ان بلاده تدعم مطلب بكين بـ «صين موحّدة». تواصل الولايات المتحدة امداد تايوان بمختلف الأسلحة مثل الطائرات المقاتلة ومنظومات الصواريخ والصواريخ المضادة للسفن وللدبابات وغيرها علاوة على دعمها برنامج تايوان لصنع غواصات تعمل بالديازيل والكهرباء.

خارج الخدمة

موقع Avia.pro كشف أن المدمّرة قاذفة الصواريخ التابعة لسلاح البحرية الملكية البريطانية HMS DEFENDER أصبحت خارج الخدمة نتيجة عطب قال انه أصاب مولدها الكهربائي.

نقل عن مصادر لم يسمّها أن المدمرة في حاجة أيضا لاستبدال تجهيزاتها الالكترونية مرجحا أن يعود ذلك لاستعمال الجيش الروسي وسائل تعمية الكترونية ضدها لما غامرت بالتسلل الى المياه الاقليمية الروسية بالبحر الأسود في جوان 2021.

Avia.pro أضاف أن المدمرة المذكورة لحقت بـ 5 مدمرات بريطانية أخرى هي HMS Dragon و-HMS Dia mond و HMS DUNCAN قال أنها ارست بميناء مدينة بورسموت و HMS Dauntless و HMS Daring قال انها ارست بميناء مدينة Birkenhead وأنها تعاني كلها من مشاكل في محرّكاتها.

الموقع نقل عن خبراء في الحرب الالكترونية تأكيدهم أن روسيا «استعملت وسائل عقاب خاصة بها ضدّ المدمرة HMS DEFENDER» وأن قيادة البحرية الحربية البريطانية قررت ادخال تعديلات على انظمة تجهيزاتها الالكترونية والكهربائية.

42 أم... 6 فقط ؟

هل سطت الولايات المتحدة مرة أخرى على صفقة فرنسية لبيع السلاح بعد حادثة افتكاك صفقة الغواصات مع استراليا وحرمان صناعة الطائرات العسكرية الفرنسية من عقد كان سيوفر لها مليارات الدولارات هي في أمسّ الحاج اليها؟

السؤال لم يُطرح بشكل مباشر وصريح لكن فرضه تواتر 4 تصريحات متضاربة حول الصفقة.

فقد أعلن الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون مؤخرا أن أندونيسيا وافقت على شراء 42 طائرة «رافال» من بلاده قبل أن تؤكد وزيرة الجيوش الفرنسية فلورانس بارلي انها وقعت مع نظيرها الاندونيسي على الصفقة.

بعدها بساعات، أوضح الوزير الاندونيسي أن الصفقة لا تتعلق سوى بـ 6 طائرات وأن الـ 36 طائرة الأخرى «في الطريق».

اثر ذلك أعلنت وزارة الخارجية الامريكية أن بلادها باعت أندونيسيا 36 طائرة من نوع «أف 15»!.

الشارع الثقافي

العدد 298 - من الثلاثاء 15 إلى الاثنين 21 فيفري 2022 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

ملف الأسبوع

أثارته نجمات على انستغرام وفايسبوك:

فنانات وأطباء وفلاسفة يدعون إلى تعديل قانون تجميد البويضات

مفتي الجمهورية عثمان بطيخ:

بحول الله ما ثمة كان الخير.. نحن نيسّر ولا نعسّر

وقفة

في محاولة فهم بعض الرهانات الثقافية للفن المعاصر في تونس

بقلم : د.أحلام بوصندل

سينما

الاقتباس في السينما التونسيّة: سياسات انتاجيّة؟؟

بقلم : حاتم التليلي محمودي

فنون تشكيلية

«فرسان ينتظرون المشاركة في موكب» للواسطي : أول عمل عربي في التصوير

بقلم : أ.د سامي بن عامر

قراءة في كتاب

الكتابة على الكتابة في المجموعة القصصية «جهنم الجدارين.. ومتاهات أخرى» لرحيم بن عامر

بقلم : هيام الفرشيشي

وقفة

في محاولة فهم بعض الرهانات الثقافية للفن المعاصر في تونس

بقلم: د.أحلام بوصندل (أستاذة جامعية)

ما من شك أن الاهتمام بمسألة فهم وتقبل الفن المعاصر ومحاولة النظر في علاقة المفهوم بالثقافة التشكيلية المتداولة في مجتمع ما، يعد مبحثا تأويليا وسياقيا على غاية من الأهمية خاصة في ظل التغيرات التي تسجلها أشكال الممارسة الفنية الراهنة والمفاهيم المستجدة المنبثقة عنها. وتمثل مقاربة المفهوم الفني المعاصر احد الركائز الميّسرة لفهم دلالة اللّغة التي تقوم عليها المعرفة بالفنون من ناحية وبسياق تداول المفهوم في الذهنية الثقافية من ناحية أخرى، لتحقيق التواصل مع لغة الإبداع الفني ورهاناتها والتأسيس لمنظومة فهم جمالي تتلاءم في تأويلها مع خصوصية الممارسة الفنية.

وفي ما يلي نتوقف عند بعض الإشكاليات التي ارتسمت بين مفهوم الفن المعاصر وأشكال تداوله في الثقافية التونسية.

في الفن المعاصر

من دأب الفن المعاصر انه فن " يرفض أن يكون نمطيا"، يصور شذوذا وغموضا وارتيابا، أي انه يتناول قضايا وأفكارا تتسم بالغرابة والخروج عن المألوف ولا يمكن فهمها منفصلة عن عمق مقاصد الفنان أو تبيّن مغزاها خارج دائرة خطاب يذلل أفكارا يمكن أن يعسر فهمها على متلقيها بحكم دغمائيتها...

ومن خصوصية هذا الفن أيضا، انه ذو مميزات جمالية مجردة، لا يمكن تذوقها خارج دائرة السؤال وذلك لما قد تثيره فيك مواضيعه لدى المرء من حيرة البحث عن تمثل جمالي لفكرة ما، وما تبعث فيه مشاهدته من حرقة التنقيب عن موضوع مشابهة شكلانية يشفي غليل الاستفهام عمّا يعني وما يُقصد الفنان بذلك؟ ...

ولهذه الأسباب يرى البعض أن الفن المعاصر توضيح وإفصاح فيما يراه البعض الآخر تجريدا وغموضا وانسياقا نحو عوالم رمزية.

من هنا يبدو جليا أن جملة التغيرات التي تتحرك داخلها فكرة الفن المعاصر، وترتهن إليها أنظمة إنتاجه الإبداعي هي ابرز سمات ما اتفق على تسميته بـ الإشكال الثقافي التقبّلي، الذي يواجهه المتلقي تجاه هذا الصنف الفني. إذ ما فتئت العديد من المواقف النقدية والجمالية تبدي تذمرا وامتعاضا من أنظمة الإبداع المعاصر في زمن تهاوت جل المسلمات الجمالية في شتى المجالات، وهو ما انعكس سلبا على سبل الإقبال على هذا الصنف الفني وانسحب على وسائل تأويله وطرقها، مما دفع إلى معاودة السؤال عن معنى النقد الفني ذاته.

طبعا دون التغافل عن الاعتراف بافتقار الثقافة التشكيلية آليات تفسير فني للظواهر الإبداعية المعاصرة وكيفيات تمثل مؤهلات تأويلية تتلاءم مع طبيعة القضايا التشكيلية التي يتبناها هذا الصنف. ومن ذلك تظل علاقة الخطاب الفني التشكيلي المعاصر بالمنجز التشكيلي وبطرق إنتاجه الإبداعي علاقة غير متكافئة أفرزت جملة من العوائق المعرفية والتقبلية.

محاولة للنظر في ثقافة الفن المعاصر بتونس

ليس بعيدا عن إشكاليات البحث عن جمالية الموضوع الفني أو عن ثقافة التشبث بأشكال التقليد الجمالي المهيمنة على المجتمعات العربية، تنتصب بعض التجارب التشكيلية الممارسة للفن المعاصر في تونس داخل إطار ثقافي لم يتعود متلقيه على الصدمات-الجمالية- بعد، ولم تتعود ذائقته على تقبل أنماط اختلاف جذري للفن والخروج عن المألوف البصري الذي لا يزال يحّن إلى تاريخ حداثة الفنون التشكيلية الأكثر قربا من ذائقته. أو لنقل انه إطار ثقافي يتسم بالمفارقة والارتجاج والتذبذب بسبب ما يحدث في مجال الفن التشكيلي المعاصر من انقطاعات في نسق مسارات الإنتاج الإبداعي لدى التجارب التشكيلية "الناشئة" التي تتصدر قائمة فناني المعاصرة التشكيلية أو بسبب غياب وتعطّل الأساليب والوسائل المتاحة للعرض الفني المعاصر أو كذلك بسبب انتقائية مجاله واقتصاره على فئة دون أخرى. وهي انتقائية ناجمة في جزء منها عن طبيعة العلاقات السائدة في الوسط الثقافي بين الفنان ودور العرض من ناحية وبين دور العرض ورهانات سوق الترويج لثقافة المعاصرة من ناحية أخرى- وهذا شأن نعود إليه في موضع أخر-.

قد لا نجانب الصواب إذا قلنا أن الإطار الثقافي التشكيلي التونسي المعاصر، هو إطار ناشئ شأنه شأن جل المجتمعات العربية وأصقاع الجوار التي لا تزال مبادراتها الفنية "العصرية" مبادرات جنينية ومحتشمة، رغم التغيرات الفكرية العميقة التي تخترق هذه المجتمعات. ذلك أننا قد نعجز أمام المعارض الفنية- التشكيلية التي نراها في العالم العربي أو في تونس، على حد السواء، عن إيجاد توجه فني يلتزم باستمرارية في انتهاج أسلوب ممارسة تشكيلية معاصرة دون غيره، ولا يمكن أن نجد فنانا أو مجموعة فنية راهنت على إتباع شكلانية أساليب الفن المعاصر دون الارتداد والرجوع عنوة أو حنينا إلى ماضي اللوحة التشكيلية - الذي يظل سياقا لإنتاج منظومة إبداع قريبة من ذهنية المتقبّل العربي أو التونسي على حد السواء المحبّذة لذلك "النمط"، ومثالنا على ذلك أن تجارب الإبداع المعاصر في تونس لم ترتق بعد إلى مستوى إنتاج أشكال فنية مستقلة عن رهانات سوق الترويج الفني، ولم تحقق تاريخ تمردها الجازم مع معطيات التشكيل الحديث بعد.

فالتنصيبة الفنية مثلا وباعتبارها نموذجا حصريا من نماذج أنظمة الفن المعاصر، لم تلق نصيبها لدى الفنان التونسي، فهي لا تباع ولا تشترى... أما فنون الأداء والتركيب والإنشاء على سبيل المثال لا الحصر- باعتبارها أصنافا مؤكدة داخل نُظم الإبداع الفني - فلا نجد لها أثرا واضحا في مسارات راهن الإبداع التشكيلي التونسي المعاصر أو حتى العربي، كما لا نجد لها مجالا ثقافيا مهيئا لاستيعابها.

وفي الإطار ذاته، لم تكن فكرة فنون الشارع في منأى عن الانزياح عن مسارها الفكري والثقافي الذي بعثت من اجله- والتي لا يخرج مفهومها عن فكرة أنها صنف فني متمرد على الإطار المكاني المحتوي لها ومرتد عن أعمدة المتاحف وقاعات العرض الفني وعلى نواميس التقليد المؤسساتي- إذ لا تزال جل مبادراتها (فنون الشارع) تقتصر في شكلها التونسي- العربي على نمط انجاز فن الجداريات التزويقي مثل ذلك الذي نراه على امتداد مفترقات جسر شارع الجمهورية بالعاصمة أو ذلك الذي يقدمه مهرجان أيقونة الاغتيال السياسي الشهيد "شكري بلعيد" في ضاحية جبل جلود، أو من خلال ما يقام في شوارع مدينة أصيلة شمال المغرب أو في مهرجان "احكي فن" بمدينة تزي وزو شرق الجزائر... تلبية لطلب عروض تظاهرات احتفالية بمناسبة هذه الذكرى أو تلك... ولا تخرج فكرة إطلاقها عن مبدأ تجميل المدن وتنميق جدرانها وواجهاتها... ويبقى رهانها الأوحد نجاح التظاهرة الفنية من عدمه.

أما إذا عرجنا على فن الفيديو الفني، فحدّث ولا حرج، فهو اقل فنون المشاهدة اعتناء في الثقافة التشكيلية الراهنة، ناهيك أننا لو حاولنا البحث عن فنان فيديو- تونسي أو عربي واحد - تفرغت تجربته لهذا المجال دون غيره، -الذي تعود بوادر تأكد منظومته كفن مستقل بذاته إلى ستينات القرن الماضي لدى الغرب وإلى التسعينات تقريبا في العالم العربي- واختصت تجربته في هذا المجال عدا بعض التجارب الجامعية- لعجزنا على ذلك. كما لا يفوتنا في هذا الإطار أن نعرج على الدور الوسائطي الذي تلعبه قاعات العرض الفني في الترويج لثقافة معاصرة تشكيلية يحكمها قانون سوق العرض والطلب ...

لذلك، تعتبر جملة التقابلات الحاصلة بين أنظمة الإنتاج التشكيلي المعاصر وأساليب الارتداد عليها المذكورة آنفا، بمثابة عوائق جوهرية تحول دون يُسر تقبل الذهنية التونسية-العربية هذا التقليد التشكيلي المستجد داخل مناخها الثقافي والذي انعكست نتائجه على سبل إنتاج وعرض وتلقي هذا الصنف الفني وحدّت من انتشاره.

ويكشف لنا واقع رواج وتقبل أنظمة الإبداع التشكيلي المعاصر في الساحة الثقافية التونسية أو العربية ضربا من ضروب ارتداد الذهنية الفكرية على نظام القطائع التاريخية الجذرية المفاجئة ورهانات منظومة هذا الفن. كما قد تشير لنا عديد الدلائل على تكلّس أسلوب الفكر التقبلي إزاء أنظمة إنتاج وتلقي الفن المعاصر وامتعاضها عن الانصهار والمجازفة لترويج رؤى تعبيرية فنية تلتزم أساسا بحرية التعبير وتحرر أنظمته من التزامات الطابع المؤسساتي .

وقد يستدل كل هذا دون منازع، على عدم قدرة تجاوز الذهنية التشكيلية التونسية نمط الممارسة الفنية التقليدي(اللوحة الفنية على سبيل المثال) الأكثر فهما لديها والأوفر تقبلا في ذهنيتها والأيسر تأويلا في تفسيره والأكثر ترويجا في سوقها الفني والأقرب رهانا في سياساتها الثقافية.

تنويه : نظرا لوفرة المادة المرسلة إلينا من العديد من الكتاب والشعراء والقراء، فإننا نستسمح الجميع في شيء من التأخير في النشر مع الوعد بأن جميع المراسلات محفوظة وستنشر في الإبّان.

أثارته نجمات على إنستغرام وفايسبوك :

فنانات وأطباء وفلاسفة يدعون إلى تعديل قانون تجميد البويضات

عواطف البلدي

تمثل تقنية «تجميد البويضات» لدى النساء بشكل عام ولدى العازبات بشكل خاص في تونس، ملفا شائكا ومعقّدا بعض الشيء رغم تداوله من قبل نجمات وفنانات على شبكتيْ فايسبوك وانستغرام على غرار مريم الدباغ ونرمين صفر من تونس وأمينة خليل وشيرين عبد الوهاب وفيفي عبده من العالم العربي. موضوع خاضتا فيه صفر والدباغ بشكل خاص جدا دون العودة إلى حقيقة الموضوع وتفاصيله العلمية والقانونية والدينية وحتى الاخلاقية..
«الشارع المغاربي» يفتح ملف «تجميد البويضات» مع أطباء وفلاسفة ورجال دين وفنانات لفهم المسألة من زواياها المختلفة.

د. معز كدوس:
أدعو الى ضرورة تعديل القانون والى أن يأخذ منحى آخر يمكّن حالات أخرى من عملية تجميد البويضات وألّا يقتصر فقط على الحالات السرطانية وغيرها

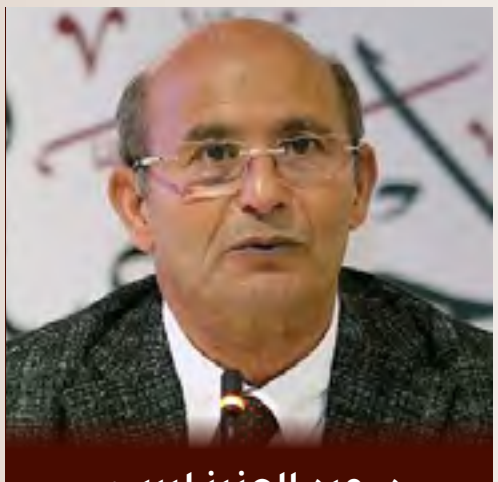

د. عبد العزيز لبيب:
من الممكن تطوير القانون على ضوء التطورات المجتمعية والثقافية والحضارية، بما يلائم أكثر الفتاة التي تقضي طورا هاما من عمرها في الدراسة ثم في العمل

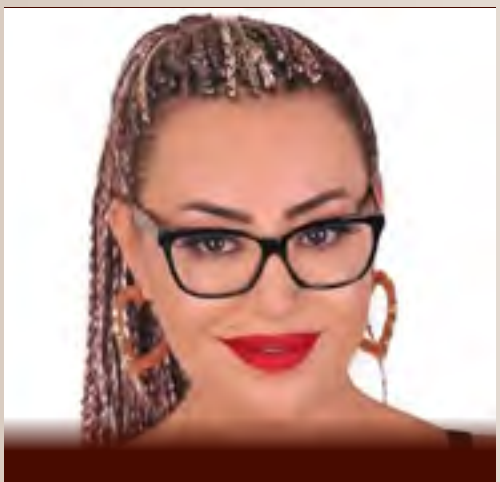

منال عبد القوي:
أضمّ صوتي لأصوات زميلاتي ولابد من تعديل قانون تجميد البويضات لأنه ظالم... هذا مكتوب ربي وما نعرفوش على المرا وقتاش تعرّس

نشرت الفنانة الاستعراضية نرمين صفر مؤخرا تدوينة جاء فيها «أنا اليوم وبعد تفكير عميق قررت اجراء عملية تجميد البويضات وأنصح بها فتيات مثلي منشغلات بالدراسة او بالعمل كأولوية للحفاظ على حلم الأمومة...» تدوينة لم ولن تكون الاولى ولا الاخيرة ولكنها لاقت ردود فعل كبيرة من شابات وسيدات كثيرات ومن شهيرات شبكات التواصل الاجتماعي والتلفزة على غرار خولة السليماني وجميلة الشيحي وسوسن معالج ومنال عبد القوي التي صرّحت لـ«الشارع المغاربي» قائلة «أساند مطلب نرمين صفر وغيرها ممن دعت إلى هذا المطلب لافتة إلى أن العملية ليست محرمة من الناحية الدينية والى انه لجميع النساء الحق في الإنجاب وفي خوض غمار الامومة».

وتابعت عبد القوي «من حق كل العازبات اللاتي تقدمن في السن أو ممن تعانين من أمراض سرطانية أو من أمراض من شأنها أن تؤثر على مخزون البويضات أن يخضعن لعملية تجميد بويضاتهن حتى يتمكنّ من استرجاعها بعد الزواج مباشرة».

عبد القوي وصفت القانون المتعلق بتجميد البويضات بـ«الظالم» قائلة «هذه التقنية مسموح بها في أغلب بلدان العالم.. هذا مكتوب ربي وما نعرفوش على المرا وقتاش تعرّس... ثم ان المرأة تنشغل في بداياتها بالدراسة وبالعمل وبمساعدة عائلتها ماديا وباقتناء سيارة أو منزل فتجد نفسها في سن الخامسة والثلاثين وأكثر» .

وختمت صاحبة مسرحية «مخفوقْة» «التونسيون متطورون في كل شيء الا في هذه المسألة لا نزال متخلّفين على عكس مصر والأردن وعدة دول عربية أخرى لذلك انا أضمّ صوتي لأصوات زميلاتي ولابد من تعديل القانون حتى يضم حالات أخرى ».

رغم تبنّي منال عبد القوي وغيرها من الفنانات تدوينة نرمين صفر الا ان هذه الاخيرة تعرّضت الى التنمّر والتهكّم والانتقادات اما لاسباب أخلاقية او لاسباب دينية. وفي الحالتين تحدّث اغلب المنتقدين عن جهل بالقانون وبرؤيتي العلم والطب.

بين الطب والقانون

توجهنا بالسؤال لمختصين في مجالات عدة حتى نتبيّن الخيط الأبيض من الأسود بعد أن صارت المطالبة بتعديل القانون أمرا ملحّا لدى نساء متزوجات وعازبات تخشين فوات الأوان في تحقيق حلم الأمومة والإنجاب بسبب الدراسة والعمل وغيرها من المسببات والعوائق.

قبل الحديث عن الحالات التي يسمح بها القانون والحالات التي يمنعها ارتأينا تقديم فكرة عن كيفية حصول عملية تجميد البويضة. فهي تتم عادة على مراحل أولها، ينبغي تحفيز المبيض على إفراز البويضة، وبعد الحصول عليها تبدأ عملية التجميد (VITRIFICATION) بشكل سريع جدا في حرارة منخفضة للحيلولة دون تشكُّل الثلج. ويجري استخدام العديد من مقاومات الصقيع الخلوية (CRYOPROTECTEUR) منعا لحدوث التصدع في غشاء الخلية. وعندما ترغب المرأة بالإنجاب تتم إذابة ثلج البويضة وتخصيبها في فترات لاحقة.

من الناحية القانونية يسمح القانون عدد 93 - 2001 المؤرخ في 7 أوت 2001 المتعلق بالصحة الإنجابية بهذه العملية لحالات دون سواها عبر شروط تكاد تكون «مجحفة» وقد وردت مفصلة بالفصل السادس وهي كالاتي : «يمكن استثنائيا للشخص غير المتزوج والذي يخضع لعلاج او الذي يستعد للخضوع الى عمل طبي من شأنه ان يؤثر على قدرته على الانجاب اللجوء الى تجميد امشاجه قصد استعمالها لاحقا في اطار رابطة زواج شرعي وفي نطاق الطب الانجابي وطبقا للقواعد والشروط الواردة بهذا القانون» . كما جاء في الفصل العاشر «يمكن بصورة استثنائية للزوجين المعنيين بشرط التعبير عن رضائهما السماح بأن تجرى على جنينهما لغاية طبية صرفة أعمال علاجية ليس فيها تغيير للخلقة وتفاديا لمرض خطير قد يتعرض له الطفل» وهنا طبعا يمنع القانون هذه العملية على من لا تتوفر فيهن هذه الشروط. وجاء في الفصل 11 من نفس القانون: «لا يمكن اجراء تجميد للأمشاج أو الاجنّة».. الامر الذي بث في نفوس عازبات ومتزوجات وحتى مطلقات ومن بينهنّ شهيرات الفن حالة من الخوف والهلع في حال فاتهن «قطار» الانجاب مثلما صرّحت بذلك نرمين صفر لاحدى الاذاعات.

على المستوى الطبي اختلف موقف الأطباء مع نص القانون ومن بينهم الدكتور المختص في أمراض النساء والتوليد بمستشفى عزيزة عثمانة معز كدوس الذي توجهنا إليه بعدة أسئلة توضيحية. يقول د. كدوس في اجابته عن سؤال ماذا نقصد بتجميد البويضات؟: «تقنية تجميد البويضات (VITRIFICATION D'OVOCYTES) موجودة من قبل لدى المرأة كما توجد تقنية تجميد الحيوان المنوي لدى الرجل.. وهي تقنيات متنوعة كأن يتم مثلا سحب جزء من البويضة أو البويضة كاملة بعد أن تخضع المرأة لطرق علاج أشبه بطرق العلاج عند عملية طفل الأنبوب» مضيفا «تتطلب هذه العملية أولا تحفيز البويضة وعندما تصل إلى الحجم المطلوب وتكون جاهزة للتلقيح يتم سحبها وتجميدها مباشرة وبأسرع وقت ممكن على عكس طريقة طفل الأنبوب التي تتم فيها عملية التلقيح ساعات قليلة بعد السحب».

وتابع دكتور كدوس «يسمح القانون بهذه التقنية في حالات نادرة فقط للنساء اللواتي تعرّضن لأمراض سرطانية نظرا لان علاج السرطان الكيميائي والعلاج بالاشعة يضرّان بمخزون البويضات وأحيانا يقضيا عليه كليا، وبناء على ذلك يمكن للمريضة قبل الخضوع للعلاج ان تقوم بعملية تجميد البويضة وعندما تتماثل للشفاء تعود لاعادة زرعها من جديد» لافتا الى انه يمكن الاشتغال على هذه التقنية داخل مستشفيات مختصة في الطب الانجابي على غرار عزيزة عثمانة أو مستشفى وسيلة بورقيبة.

وأضاف د. كدوس «للأسف لا يسمح القانون لحالات أخرى نراها اليوم في حاجة ملحّة لهذه العملية» موضحا أن القانون محدود في هذه الناحية خاصة في ما يتعلق

بالنساء اللواتي لا تعانين من امراض سرطانية ولكنهنّ تعانين من نقص في مخزون البويضات في سن مبكرة».

وأردف «عندما تفكر واحدة منهنّ في تجميد البويضة حتى لا تضيع منها فرصة الانجاب سيمثل هذا القانون عائقا أمامها ولا يسمح لها وهذا هو الاشكال الحقيقي» متسائلا « ماذا عسانا ان نفعل لهنّ امام قانون غير واضح ومحدود ولا يشمل مثل هذه الحالات؟».

وأكد انه لا مفر ولا هرب في قادم الاعوام من تعديل القانون والسماح لحالات أخرى بتجميد البويضة لمن تعانين من نقص في المخزون في سن مبكرة او من تعانين ايضا من مرض بطانة الرحم المهاجرة رغم ان القانون يسمح بالتجميد عندما تكون بطانة الرحم المهاجرة في مراحل متقدمة ولكن للمتزوجات فقط الى أن يتماثلن للشفاء قائلا «أنا مع ضرورة تعديل القانون لاجراء هذه العملية لحالات أخرى ممن تعانين خاصة من مشاكل في الانجاب ومن مرض بطانة الرحم المهاجرة الذي يتسبب في نقص المخزون بطريقة كبيرة وألّا يقتصر فقط على الحالات السرطانية وغيرها».

وعن امكانية حدوث خطأ طبي كأن تنقل مثلا بويضة امرأة لأخرى قال الدكتور «نحن هنا نخوض في ملف علمي طبي هام سيؤدي بنا الى نتائج جيدة مستقبلا واذا واصلنا الحديث عن أخطاء وما شابه فلن نصل الى نتيجة تضمن تعديل القانون» مؤكدا انه لم تقع مطلقا أخطاء من هذا النوع على مر السنوات التي تمت خلالها عمليات تجميد البويضات وانها تتم بطريقة مقننة جدا.

وختم د. كدوس قوله «أدعو الى ضرورة تعديل القانون والى أن يأخذ منحى آخر يمكّن نساء أخريات تعشن حالات قلق بسبب ضعف مخزون التبويض لديهن وألا يقتصر فقط على الحالات السرطانية» متابعا «كما تعلمين اليوم إن أغلب النساء يتزوجن في سن متأخرة نوعا ما بين 34 وحتى 40 سنة وهناك حتى من هي اصغر سنا ولكنها تعاني من نقص في مخزون البويضات ولذلك يجب أن يشملهنّ القانون». خالصا بالقول «للنساء الحق ومطلق الحرية في تجميد بويضاتهنّ ولا اعلم لماذا لا يسمح القانون علما انهنّ من سيستعملن هذه البويضات وبموافقتهن طبعا ولكن بشكل مدروس حتى لا تدخل البلاد في حالة هستيريا ويصبح كل من يريد التخزين يسارع لهذه العملية ..

فلسفة الأخلاق

في رده على سؤالنا قال أستاذ التعليم العالي للفلسفة بجامعة تونس المنار د. عبد العزيز لبيب « يتصل سؤالك بموضوع معقدّ بسبب ارتباطه الوثيق بتمثلات الناس ومعتقداتهم ورؤاهم للحياة من ناحية أولى، وارتباطه بمعارف واختصاصات بيولوجية، وطبية، و«تكنومعلوماتية»، وحقوقية، وفلسفية أخلاقية، وتيولوجية، من ناحية ثانية» متابعا «كما يتصل أيضا بمعضلة الحرية والاختيار وتقرير المصير لا على الصعيد الفردي الخاص فحسب وإنما أيضا على الصعيد الجماعي الكلي، أي على صعيد النوع الإنساني في نهاية المطاف. وكل تلك العناصر تتدخل، من حيث هي عوامل متباينة ومتكاملة وفاعلة، في تقييمنا لتجميد «الغامات» («الأمشاج» أو «العِرْس» في المصطلح الطبي)، وفي تقييمنا لأهداف ولطرق استخدامها في تناسل ودوام النوع البشري».

وأضاف لبيب «هذا التباين والتداخل والتكامل هو سبب «التعقيد» الذي يقول به إدغار موران إذا طبقناه على سؤالك في التجميد. ما ينجرّ عن ذلك هو أن أبعادا أساسية لهذا الموضوع، مثل البعد البيولوجي والطبي والتشريعي والاجتماعي والنفسي والديني الفقهي تتجاوز اختصاصي؛ وأهل هذه الاختصاصات أدرى بها وأولى مني. ولذا فإنّي سأطرق سؤالك من زاوية فلسفية أخلاقية حصرا، وهي تتعلق بإثيقا الحياة أو «أخلاق الحياة»، أي ما كان يُسمَّى في العربية بـ«آداب العيش» الإنساني والطبيعي والكريم. متابعا «زاوية نظري هذه علمانية على ما أظنّ، أقول هذا لمن تروق له مثل هذه التسميات، وقد تتفق أو تختلف من حيث النتائج مع رؤى أخرى. ومسألة الاتفاق والخلاف ثانوية عندي ما لم يتحول الموقف إلى تعصب معتقدي وتحّيز مسبق كائنا ما كان لونه. وهكذا فإني اخترت من البداية البديل المعياري أو القيمي اللذان قد لا يتقفان، أحيانا، مع بعض الرؤى «التكنوعلمية» المحض التي تجرد الموجود البيولوجي من العالم المحيط به وتقدمه في «عراء حياته»، قبل أن ينقلب الطابع الإجرائي والوسائلي لتلك الرؤى «التكنو علمية» إلى معيار قائما بذاته: كل ما يمكن عمله يكتسب قيمته الأخلاقية من لدن نفسه لا لشيء إلا لأنه ممكن. ولا يخفي على أحد أن الممكن يصبح في حلّ تماما من معنى الواجب. علما وأن الواجب كان من حيث المبدأ محددا للممكن سواء في التقليد الفلسفي أو الديني أو الأخلاقي على صعيد كوني. أما اختزال انتظام الحياة في مجرد الممكن التكنوعلمي من داخله لا غير، فهذا ببساطة نقل للشعار الليبرالي الشهير من مجال الاقتصاد والسوق إلى المجال البيوأخلاقي: «دعه يعمل، دعه يمر»! وإذا ظنّ بعض الناس أنه أزاح يد السماء الخفية، فإنه يستعيض عنها بيد السوق الخفية.».

ولمزيد التوضيح قال لبيب «لنبدأ أولا بأسهل الأمور، وهي حالة تجميد الأمشاج . وأكثرها سهولة هي تلك التي ينص عليها المشرّع التونسي، بسبب الصياغة القانونية الصارمة والمقيدة للتجميد وللتخصيب في المخبر بوضع شروط محددة وواضحة. ما يعني أن التجميد على صعيد دلالته المفهومية جائز في تونس بحكم القانون، ولكنه مقيد جدّا بحالات معينة على صعيد دلالته الإتساعية، أي من حيث عدد الحالات الخاصة أو الاستثنائية التي يقرّها القانون التونسي عدد 93 الصادر في سنة 2001، والتي يسري فيها مبدآن اثنان: مكافحة العقم بالنسبة للأزواج؛ وتجاوز معوّقات صحية بيّنة بالنسبة للشخص الذي يخشى على نفسه من مستقبل غير مناسب للإنجاب عند زواجه. موضحا انه وفي كلتا الحالتين فإن الانجاب مقيد بشرط النواة العائلية الأصلية على معناها القانوني»، مستدركا بالقول «لكن الأهم من كل ذلك هو توجه المشرع التونسي بالسلب إلى استبعاد باتّ للتعديل والتلاعب الجيني، وللأغراض التجارية، ولتحسين النسل، سعيا منه إلى أن يكون الانجاب أقرب ما يمكن من الانجاب الطبيعي. وهذا غير مؤكد في جميع الحالات أثناء التطبيق مادام التعديل الخِلْقي (épigénique) محتملا بسبب الشروط الحافة بالتجميد والتخصيب والنقل والزرع. الخ...لكن مثل هذه العملية قابله للعكس والردّ. وبهذا المعنى فإن القانون قد حدد «المساعدة الطبية على الإنجاب» في حدود ضيقة للغاية خصوصا بالنسبة لغير المتزوجين. ولذلك نعت العملية كلها بـ«المساعدة» [على السير الطبيعي]».

وتساءل «مادام المبدأ قائما في تونس أفَليس من الممكن تطويره على ضوء التطورات المجتمعية والثقافية والحضارية، بما يلائم أكثر الفتاة التي تقضي طورا هاما من عمرها في الدراسة ثم في الانخراط في عالم العمل بما يؤثر في شروط الخصوبة لديها،

أستاذة الفلسفة د. تاجة بوحجة بن علي :

لا حق لنا في الجهل والتكلّس

في اجابتها عن سؤالنا قالت المفكرة والمختصة في الفلسفة الحديثة د. تاجة بوحجة بن علي صاحبة مؤلفيْ «نظرية الاعتقاد في فلسفة هيوم أسسها وأبعادها» و«في البدء كانت الذات» إن مقاربة المسائل البيوتكنولوجية من زاوية إيتقية، فضلا عن الجوانب الأخرى الدينية والثقافية، ليس بالأمر البديهي، إذ كيف ندافع عن خصوصيات العلم (الحياد والموضوعية) وإمكانياته اللامحدودة من جهة، ونحاكمه ونقاوم منجزاته من خارجه، ودون وجه حق من جهة أخرى. هذا ما نلاحظه اليوم من خلال ذلك الجدل الدائر في بعض الدول العربية و في تونس حول المطالبة بتجميد بويضات المرأة L'auto concervation ovocytaire لأجل الإنجاب في مرحلة لاحقة»، متابعة «تأتي المقاومة كالمعتاد تحت تعلّات مختلفة، التحريم، والخوف من الانحرافات الممكنة، والحط من كرامة المرأة... مستندين في ذلك إلى منطق التعميم الفاسد، والخلط بين أنواع مختلفة من العمليات البيوتكنولوجية وآثارها المحتملة. هذه الآثار التي هزت ثوابت قديمة تتعلق بهوية أفراد الأسرة، لتكون المحصلة أمومة دون بويضة، وأبوة دون منْي، وبنوة في رحم مستأجر...إلخ، كل هذه الوضعيات ليست موضوع الحال، إذ أن المقصد الأصلي من عملية حفظ البويضات بالتجميد، هو الحفاظ على خصوبة المرأة حتى تتمكن من الإنجاب في سن متأخرة، بحكم ما طرأ على المجتمع من تغيرات وتأخر في سن الزواج، الذي أصبح ظاهرة عامة تعود إلى أسباب اجتماعية واقتصادية، فضلا عن تطور وعي المرأة وتغير أولوياتها في الحياة».

وأضافت د. بن علي «إن قراءة هذا الحدث من وجهة نظر فلسفية أخلاقية ليس من قبيل التطفل المجاني، فلا شيء يخرج عن طائلة الفلسفة، لذلك لم يكن بالغريب أن تسند الحكومة البريطانية سنة 1982 إلى ماري ورنوكMary Warnockm (1924-2019)) المختصة في فلسفة الأخلاق ، مهمة تشكيل لجنة تتولى دراسة مشكلات الإخصاب الصناعي وعلم نمو الجنين، والاستنساخ الحيوي ، و كانت هذه اللجنة تضم أطباء ورجال قانون ولاهوتيين وعلماء اجتماع . و يمكن أن نفهم من ذلك، أن جنس هذه المشكلات لا يمكن أن تكون أُحادية المأخذ، أو مقطّعة الأوصال»، قائلة «حياد العلم لا ينفي ولا يلغي تأثيراته على الحياة الاجتماعية والفكرية للبشر، مما يشرع للسؤال عن النهج الذي ينبغي أن يسلكه العلم للحفاظ على الإنسان كقيمة، وتحديد الطرق الأكثر أمانا في تحقيق التقدم المعرفي والتقني، والأقدر كذلك على تحقيق الخير والسعادة، أي تحقيق الغايات القصوى للفكر الفلسفي . إن جنس هذه الأسئلة والهواجس هي التي أدت إلى بروز الأخلاق التطبيقية Applied ethics وتطورها منذ ثمانينات القرن الماضي. لنجد أنفسنا اليوم في مواجهة نفس التساؤلات والانتقادات، لمجرد تصريح بعض الفتيات برغبتهن في تخزين بويضاتهن، والتمسك بحقهن في استعمال هذه التقنية لضمان نسل ممكن، أو أمومة مفترضة، دون تقييد من القانون الذي لا يمنح هذا الحق إلا لمن يعانين من أمراض سرطانية. وفي هذا الحد قمع لحرية المرأة، وسلب لإرادتها، التي لا تعتدي بها في موضوع الحال على الآخرين، طالما أن الأمر لا يتعلق بالبيع أو بالتبرع لطرف آخر. وطالما كانت في مأمن من حدوث اختلاط في الأنساب، وهي الحجة التي يتذرع بها رجال الدين والفقهاء».

وتابعت المفكّرة «رغم أن فقه المقاصد – ودون خوض مجال له أهله ومختصّوه – بمبادئه الكبرى، التي من المفترض ألا تتعارض مع مبادئ الحس السليم، ليست مناقضة لهذا الإجراء، طالما أن الغاية منه «نفي الضرر ورفعهِ وقطعهِ»..بل يمكن اعتباره من جنس المصالح المرسلة، ونحن هنا إزاء «مصلحة لم يشهد الشرع لها باعتبار ولا بإلغاء»، ولكن من الواضح أنها تؤدي إلى حفظ النسل من غير «ضرر أو ضرار»، فهي لا تضر بالمستفيد ولا بالمجتمع»، مستشهدة بقول الفقيه المفكر محمد الطاهر بن عاشور صاحب كتاب مقاصد الشريعة الإسلامية: «إن طريق المصالح هو أوسع طريق يسلكه الفقيه في تدبير أمور الأمة عند نوازلها ونوائبها إذا التبست عليه المسالك». وختمت قولها «لذلك نحن في أمس الحاجة إلى اعتبار المصلحة المتأتية من المطالبة بهذا الحق المشروع، وإلى التخلي عن ضرب من التفكير التقليدي المتكلس، باسم حفظ الدين، مما يجعلنا في تباعد مستمر عن مسار التطور العلمي والتقني؛ هذا المسار الذي لا يعنينا، إلا بقدر مساهمته في تحسين ظروف حياة الإنسان، واقتلاعه من عالم الخرافة والوهم».

ويؤخر في سن الزواج عند الإناث والذكور؟ أليست الأمومة حقا، فضلا عن كونها جميلة؟ هذا ما يتطلب ثقافة اجتماعية ونفسية ورمزية وسكانية كاملة. وعادة ما نرى في بلدان الشمال «المتقدمة» كيف أن تلك الثقافة تسبق التشريع وتهيّء له. ولكن الأمر ليس كذلك في بلدان الجنوب، وخصوصا في البلدان العربية والإسلامية. وخلص الى أن التجميد والتخصيب والانجاب بمساعدة طبية، عمليات ما تزال في تونس جزئية ومحتاطا لها تشريعيا بما فيه الكفاية. قائلا «لذا أظن أن تطويرها وحلولها وتوسيعها إلى حالات أخرى أمرا بات ممكنا وميسورا مع الحيطة. ومِمّا الحيطة؟» . وختم قوله «بهذا أريد أن أختم كلامي لأضعه في إطار إنساني وكوني يتجاوز مسألة تجميد الأمشاج في تونس. فالتجميد في جوهره له علاقة نظرية بقضية هي موضع جدل عالمي تتعلق بالتلاعب الجيني وبتحسين النسل غير الواردين في تونس في الأفق المنظور على الأقل. إنّ التلاعب الجيني الذي يعني تدخل الأبوين في اختيار فيزيولوجيا الجنين وتكوينه صار ممكنا علميّا. أمّا ما يناقش فيه فهو الصلاحية الأخلاقية للتحديد المسبق للجينوم والتلاعب الجيني. فلقد ارتبطت حرية الإنسان بالطابع العشوائي، نحن أحرار ما دام مجيئنا إلى العالم قد لعبت فيه الصدفة دورا رئيسيا، إن لم يكن مطلقا. إن للحرية معناها عن طريق السلب، وهو عدم تبعيتنا للغير وحتى إن كان هذا الغير سوى أبوينا. صحيح أننا ندين للأم وللأب وللمجتمع بالاحتضان والنشأة مثل سائر الحيوان، وكذلك بالتربية، الخ... ولكننا لا ندين لهم البتة بتكويننا الجيني الخاص اللهم من جهة الصدفة. وعلى تلك الصدفة تتوقف حريتنا كما يرى هابرماس، ويتوقف مصيرنا الذي نسعى إلى السيطرة عليه وعلى تحقيقه تحقيقا شخصيا مهما كان جزئيا ومنقوصا. وكل بهاء الإنسانية في نقصانها. أما التلاعب الجيني والاصطناعي فيؤذن بنهاية الحرية الإنسانية. ولِم لا ننهيها؟ إذا أردنا ذلك، علينا أولا أن ندفنَ القيم والمعايير الإنسية. وهذا موضوع آخر.

تشابهت إذن المواقف وتوحّدت تقريبا كل الآراء فنيا وطبيا وفلسفيا وحتى دينيا رغم تحفّظ مفتي الجمهورية عثمان بطيخ عن الإدلاء برأي مباشر .. وقد أجمع المشاركون بهذا الملف على أحقيّة المرأة (عزباء كانت أم متزوجة، في حالة صحية جيدة أو تعاني من أمراض مستعصية من شأنها أن تؤثر على مخزون التبويض لديها) في الانجاب وخوض غمار الامومة .. داعين الى تعديل قانون تجميد البويضات ليشمل حالات أخرى لا تقل أهمية عن الحالات التي سمح بها قانون 93 – 2001 المؤرخ في 7 أوت 2001 والمتعلق بالصحة الإنجابية.

مفتي الجمهورية عثمان بطيخ:

بحول الله ما ثمة كان الخير.. نحن نيسّر ولا نعسّر

في حديثه لـ«الشارع المغاربي» قال مفتي الجمهورية عثمان بطيخ «أعرف أن القانون يمنع هذه العملية ولا يسمح بها إلا في حالات خاصة لكن لابد من الاحتراز من الوقوع في بعض التجاوزات المنافية للاخلاق كأن يتم زرع بويضة امرأة داخل رحم امرأة أخرى او كأن تشترى أو تباع بويضات النساء».

وبسؤالنا عن قول الدين في هذه المسألة وما اذا كان يسمح بإدخال حالات أخرى على القانون المتعلق بتجميد البويضات قال المفتي «أنا مع انفتاح القانون على حالات أخرى شرط ان يتم تقنين المسألة» مشيرا الى انه في حال طُرح عليه السؤال من قبل جهات رسمية على غرار وزارة العدل او رئاسة الجمهورية فإنه سيجيبها، داعيا الأطباء المختصين الى التقدم بتقرير مفصل عن الحالات التي يمكن إضافتها لنص القانون لرئاسة الجمهورية أو لوزارة العدل.

وتابع «عندما تتوجه الينا الجهات المختصة بالسؤال سنجيبها بكل دقة حتى لا تكون المسألة مخالفة ومنافية للقانون» رافضا الادلاء برأيه بصفة غير رسمية.

وختم سماحة المفتي «لكل حادث حديث بحول الله ما ثمة كان الخير.. نحن نيسّر ولا نعسّر» قائلا «طالما ان هذا القانون قد صدر سابقا فمن المؤكد أنه يستند إلى فتوى دينية صادرة من احد المفتيين السابقين».

فكر حرّ

عن الدّين والعلم: حول ازدواجيتين

د. محمد بن مصطفى

لن أنصّب نفسي "خبيرا" في زمن تضخّم "الخبراتيّة" – وما تفرض من ميمازيس(mimésis) معكوسة ومشوّهة لقوة الخط (puissance du faux) الدولوزو-نيتشويّة. لنقل أنّ دوكتورا في الابيستيمولوجيا، تخصّص فلسفة رياضيات، تخوّل لي إعطاء وجهة نظر متواضعة و منفصلة-باردة (froide et détachée) حول النقاش العائد باستمرار، والمتناول للإشكال الزائف(faux problème)، السكولائي الوسيط (ليس استنقاصا بل توصيفا) لنقل بين "الإيمان والعقل" أو بين "العقل والنقل"، أو بالأحرى، هنا، بين "الدّين الفجّ" وشبه-العلم (pseudoscience) .

ملاحظة شخصيّة ومنهجيّة: أكتب هذا النصّ انطلاقا من ازدواجيّة تكويني، بين رؤى علميّة صارمة وتفكّر يومي في الإشكال "المفهومي" الخافق أنطولوجيا عن "الله". بمعنى آخر، أضع خطّا مِثاليّا (Idéel) بين الشّبيه والمختلف (le Même et l'Autre)، إذ يتجسّدان بفارق لااختزالي (irréductible)بين "الدّين" و"الإيمان"(ΠΙΣΤΙΣ). هنا، الإيمان هو "تخريب" (subversion) مهرطق لدين المتديّنين، ذلك أنّه وعي تناقضي ينبثق (procession) ويورِث تناقضه إلى "مفهوم" (وهذا ليس دقيقا هنا) "الله". هناك ديالكتيك نافية ونفي-نافية لا هُوِيّاتيّة (منطقو-رياضيّا، نتحدّث عن الnon-idempotente)، تصّاعد مع فوضى المُثل (Idées) ولا تنغلق على مفهوم إلاّ لتبدّده في العماء. بناءً على ذلك، أنا على نفس المسافة من الإلحاد الفجّ والدّين. وكما أرفض، نضاليّا، كمواطن في المدينة، تقديم رؤية انتكاسيّة للعلم، فإنّي، حميميّا ك "مؤمن" (انظر أعلاه)، أرفض الأوحال التي تلحق بالثيولوجيا من قبل من جهل الله جهلا غير عارف بجهله الماهوي، وجهل العلم جهلا غير عارف بجهله الابستيمولوجي.

إن الازدواجيّة العصابيّة، في تونس على الأقل، بين الإخفاق العلمي للمحسوبين على الشعب العلمية، وبين الوثوقيّة الدينيّة الوئاميّة (concordiste) شائعة في مباشريتها ولها عطاء (donation) ظاهراتيّ. بل وإن هاته الوئاميّة، في منحاها الهيرمينوطيقي، أدّت إلى التماهي البنيوي بين الظاهري السلفي من جهة، و"المفكّرين الإسلاميين" من جهة أخرى، كلاهما وئاميّون في المطلق . وينطبق لا وعي المواطن العادي مع توليفة بين الاتجاهين السالف ذكرهما محققا "ابيستيمة" تاريخانيّة للرجعيّة، ربّما تعود جذورها للتنافر بين ابن رشد والغزالي– ذاك نفسه المؤسس تاريخيا، على الأقل في الغرب الإسلامي لبداية نهاية الحركة الفكرية. فمصير تاريخ الثنائية "العقل والنقل" يتماهى مع تاريخ الحضارة الإسلامية – إذا استثنينا بعض الفلتات من ابن عربي الى ابن سبعين ومن السهروردي الى صدر الدين الشيرازي.

لا يسع المجال هنا تقديم بحث مفصلّ عن تاريخ العلم، لنقل من أفلاطون إلى كانط. النقطة المفصليّة، التي عبّرت "فلسفيّا" عن ثورة العلوم الحديثة (غاليلي، كوبيرنيك، كابلار، برونو، براهي، نيوتن...) هي"الديالكتيك الترنسندنتالية" في نهاية "نقد العقل المحض" لكانط. وإن كان المنحى مع "الواقعية السبيكولائية"(réalisme spéculatif) المعاصرة يتمثّل في نقد هاته الترنسندنتالية، فإنها لا تمثل بتاتا تراجعا لصالح الانطوثيولوجيا. هناك فعلا ميتافيزيقًا ملحدة، "باديو ودولوز" فلا داعي لاعتبار الوئاميين– بين العلم والدين – سجناءللميتافيزيقا. فالجهلبتاريخ الميتافيزيقا هو ما يجعل الكثير"يفكّرون" في نطاق الوئامية.

إذا سلّمنا بأن المنهجية العلمية تجد في الفيزياء الحديثة باراديغما لها (وهذا تنصيص لا أتبنّاه)، فإن "نقد العقل المحض" والنيوكانطيّة (Petitot, Friedman) يمثلان أفقا يصعب تجاوزه – أي "الفرضية الترنسندنتالية" التي تُوثِق المقالات(les catégories de l'entendement)مع التجريبيّة. وكلٌّ ما يقع خارج هذا المدار، فالعلم غير معني به. وربما تُعنى به، في أفضل الحالات، الاكسيولوجيا أو العقل العملي. وعليه، تسقط كلّ البراهين الأنطولوجيّة الدائريّة لوجود الله (من القديس أنسيلم إلى ديكارت). يوجد علماء متدينون. لا يوجد علم متدين.

أن يتبنّى البعض ترسبات ما يطلق عليه اسم "الإعجاز العلمي في القرآن"، هو فحوى الازدواجيّة العُصابيّة : علمٌ إجراءي منفعي دون قاعٍ انطو-ابيستيمولوجي (أيّا كان توجهه الأنطولوجي والإبستيمولوجي في فلسفة العلوم) ؛ وإعادة تحقيق (réification) لمجالٍ وثوقي-متدين متداخل مع العلم، ظننناه مائتا، على الأقل منذ غاليلي.

ثمّ إن "الله" متعدد المعاني: إله القرآن، وهو ليس إله ما بعد الإسلام (وربّما حتى الإسلام من منظور ما بعد إسلامي) ولا إله مابعد الثيولوجيا ولا إله الفلاسفة (إله سبينوزا نموذجا) ولا ديميورج التيماوس، ولا براهما الهندوسيّة، ولا آب العهد الجديد. إن "الله" المتعالي (إله التوراة والقرآن) حطامٌ ثيولوجي لا يمكن له أن يقاوم أيّ ديالكتيك ثيولوجية أو إيمانيّة. إن "الله" الذي لا غير له فيه، وفيه لا غير في الغير، لا يقدر فكريّا وإيمانيّا أن يكون إله وفق مفهوميّة مكسورة مثلانيّة (idéelle) .

إننا لا ننتج علماء لأننا لا ننتج ثيولوجيين بل رجال دين. والعكس صحيح. ويحزّ في نفسي التطّور الفائق للإيمانيّة المسيحيّة (سيمون فايل نموذجا) والثيولوجيا المسيحية (هانس اورس فون بالتازار نموذجا) و"الفلسفة" المسيحيّة (جون لوك ماريون) – وأعتبر أن هذا الأخير كشف عن عمق ثوري ل"الله" في كتابه "Dieu sans l'être" .

يجب الدفاع عن العلم لأن العلم يفكّر (وفق قراءة آلبير لوتمان الهايدغيرية لنفي هايدغير الشهير). وكذلك، يجب الدفاع عن "الله" من التقوّل الوئامي. وأخيرا، يجب ترك العلم للعلماء و"الله" للفلاسفة والثيولوجيين والمؤمنين. إن الخلط بين هاذين النسقين هو خطيئة مميتة للعلم ول"الله". وهذا هو لبّ الازدواجيّة الطِباقيّة التي، نهايةً، تجعل العلم علما و"الله" الله.

الاقتباس في السينما التونسيّة: سياسات إنتاجيّة؟؟

حاتم التليلي محمودي

إضاءة

قليلة هي الأعمال السينمائية التونسيّة التي أولت مسألة الاقتباس أهميّة كبرى مثلما ذهبت إلى ذلك السينما الغربيّة أو المصرية أو المشرقية، من بينها نستطيع الإشارة إلى جملة من التجارب مثل فيلم "ليلة السنوات العشر" للمخرج إبراهيم باباي والذي اقتبس من رواية "ليلة السنوات العشر" لمحمد صالح الجابري وقد كان ذلك سنة 1982، وفيلم "الرديّف 54" لعلي العبيدي والذي أخذ عن "يوم من أيام زمرا"، والذي طرح سنة 1997، وفيلم "في بلاد الطررني" الذي احتوى على 3 أفلام قصيرة، تم إخراجه سنة 1972 من إنتاج "الشركة التونسية والتنمية والسينمائي"، وقد شارك في الإخراج ثلاثة مخرجين هم حمودة بن حليمة عن الفيلم الأول بعنوان "المصباح المظلم"، وهادي بن خليفة عن الفيلم الثاني "الزيارة"، وفريد بوغدير عن الفيلم الثالث "نزهة رائقة"، حيث اقتبس من المجموعة القصصية "سهرت منه الليالي" لعلي الدوعاجي. وعلاوة على ذلك نستطيع ذكر عناوين أخرى لبعض الأفلام، منها فيلم المخرجة "سلمى بكار" الذي حمل عنوان "حبيبة مسيكة: أو رقصة النار" الذي اقتبسته من تفاصيل الثلاث سنوات الأخيرة من حياة الفنانة التونسية التي وجد اسمها في عنوان الفيلم وقد كان ذلك في سنة 1995، ومنها أيضا فيلم "ثلاثون" الذي يروي سيرة حياة الطاهر الحداد في ثلاثينات القرن الماضي، وقد تم إخراجه سنة 2008 من قبل المخرج الفاضل الجزيري، وفيلم "جنون" المقتبس من مسرحية "جنون" للمخرج الفاضل الجعايبي سنة 2006.

إنّ هذا العدد القليل من الأفلام التي اشتغلت على تقنية الاقتباس، إن كان يعبر عن شيء فهو يعبر عن أزمة سنحاول الحفر في أسبابها وعواملها، ولا نظنّ أن هذا الأمر لم يكن مغيّبا عن الأذهان، وإنما هو نتيجة مواقف لها رؤاها الابداعية وتجلياتها السياسية والثقافية. فالبعض يرى أن مسألة الانتاج السينمائي لا تستحقّ الدخول والخوض في تلك المسألة، وهو موقف تمّ تبريره بغياب الدعم المالي من السلط المعنية والمشرفة على هذا القطاع. وهذا ما تؤكده قوانين دعم الانتاج السينمائي حيث لا نعثر ولو على بند واحد يشجّع على مسألة الاقتباس، وبعض آخر يرى في الساحة الأدبية والتراث التونسي مجرّد تصحّر ثقافي لا يرتقي إلى درجة إقتباسه سينمائيا ومنافسة الثقافات الأخرى التي تم اعتبارها مؤهلة أكثر نظرا لاشعاعها العالمي وامكانية استثمارها انتاجيا.

مآزق إنتاجية

رغم القفزة التكنولوجية والتحولات الكبيرة التي يشهدها الفنّ السينمائي وتغيّر الظروف السياسية والاقتصادية والفكرية في بلادنا، إلا أن لم يتمّ إلى حد اللحظة تطوير البنود القانونية التي تضمنها الرائد الرسمي سنة 2001 والتي تعنى بمسألة منح التشجيع على الإنتاج السينمائي، وهي بنود قابلة للنقد في ظل واقعنا الموضوعي اليوم، إذ أنها ما تزال تعرف الفيلم الطويل على أن مقاسه 35 مم وطوله يساوي أو يفوق 1600 متر، في حين أن المقاسات الرقمية المعمول بها اليوم هي فئة 2K. 4K. 6K . HD وقليلا ما يصوّر الفيلم بمقاس 35 مم. وعلاوة على ذلك لم تتضمن تلك البنود ولو بندا واحدا يشجع على ظاهرة الاقتباس، وإنما تمّ تجاهل هذا الأمر، وهو ما يجعل من المنظومة القانونية أشبه بالمعادلات الحسابية التي تهمل أهمّية الجانب الإبداعي في السينما التونسية من حيث العودة إلى الموروث الثقافي بغية إضفاء نوع من الخصوصية على هذا الفنّ.

من جانب آخر ، اقتصر معظم المنتجين على منحة الإنتاج المسندة من وزارة الثقافة لإنتاج أفلامهم وهي منحة لا تتجاوز 35 بالمائة من قيمة المشروع، دون بحث عن وسائل دعم أخرى والسعي إلى إيجاد حلول مادية بمعزل عن وزارة الثقافة، وهو ما يفضي ضرورة بالعمل الفنّي إلى عدم التمسّك بالطابع الجماليّ أو الثراء الفكريّ من حيث المراجع والخلفيّات. كما إنّ الحصول على منح دعم أخرى يقتضي نوعا من الولاء إلى برامج ومشاريع من اللجنة التي تسندها، بما يجعل مسألة الاقتباس –إن وجدت- بعيدة كل البعد عن المرجع التونسيّ (روايات كان أو تراثا.. إلخ).

أمّا على صعيد البنى التحتية، فقد كشفت دراسة اجرتها منظمة اليونسكو عن وجود قاعة عرض لكل 30 ألف مواطن، وحين نقارن هذه المعادلة على نسبة السكان في تونس، فإن عدد القاعات يقتضي تواجد حوالي 320 قاعة عرض، في حين أن الواقع شيء آخر إذ لا وجود إلا لحوالي 12 قاعة سينما فحسب، وهو ما يؤثر سلبا على السياسة الإنتاجية من حيث التوزيع. وعلى غرار ذلك نشير إلى أن هذه القاعات تشهد مشاكل عديدة بدورها، وتمثلت في نقص المعدات الحديثة مثل شاشات العرض ثلاثية الأبعاد، ومضخّمات الصّوت ثلاثية الأبعاد، ممّا يفرز ظروفا سيّئة من حيث عرض الأفلام من ناحية الجودة.

أمر آخر لا يمكن تجاهله، ألا وهو ظاهرة القرصنة، إذ كثيرا ما تصل الأفلام إلى الجماهير عبر وسائل التواصل الالكترونية خاصّة منذ عرضها الأوّل في القاعات، وهو ما يعكس عزوفا كبيرا عن مشاهدتها في تلك القاعات، وهذا يسبب مردودا ماليا ضئيلا بعد ضرب ثقافة الفرجة الجماعية أمام شاشات العرض، وخسائر إنتاجية كبيرة خاصّة أن مراحل التوزيع التي تمرّ بها الأفلام باتت غير منتظمة بشكل طبيعي وعلى الطريقة المعتادة التي كنّا نشهدها (قاعة السينما- الفيلم في قرص ليزري- مروره إلى القنوات الخاصّة- تأميمه على بقية القنوات الوطنية).

هل ثمّة حلول؟

قد يتراءى للعديد من النقاد والباحثين والمنتجين والمخرجين المهتمّين بالقطاع السينمائي أن هناك حلولا عديدة لتجاوز تلك المآزق التي عرّجنا عليها سلفا، وقد تكون هذه الحلول مرتبطة بمدى النجاح الهيكلي لهذا القطاع سواء على المستوى القانوني أو الإرادة السياسية، ولكن البقاء عند حدود هذه الدائرة لا يمكن أن يطرح حلولا ناجعة، ممّا يؤكّد ضرورة دعم تلك الاقتراحات بنماذج من حلول أخرى من بينها ظاهرة الاقتباس، ولكننا نشير إلى أن هذه الظاهرة لا يمكنها أن تنسف جذريا تلك المآزق لأنه ليس كل ما هو مقتبس يؤدي إلى تجاوز مأزق ما، وبالتالي فإننا نركز على مضامين هذه الظاهرة، ونعرّج على أمثلة معينة يمكن التعامل معها واقتباسها وتوظيفها توظيفا ملائما حتى تكون ناجعة لتحقيق الغاية المراد بها منها.

ومن بين هذه الأمثلة، نذكر على سبيل المثال ما يمكن أن نصطلح عليه بإحياء الذاكرة الشعبية التونسية وما تختزن من خرافات وحكايات ، وما تحفل به من مآثر تاريخية مهمّة وشخصيات وزعماء ساهموا في خلق ملاحم وطنية، وما تعلّق في الأذهان من أساطير وعادات وتقاليد، وما تختزن من أشكال طقوسية وفرجوية غنائية وموسيقية مهمّة ساهمت في نحت خصوصية الهوّية التونسية من حيث تصوراتها الثقافية.

وبالإضافة إلى ذلك نشير إلى أنه يمكن اعتماد تقنية الاقتباس بالاعتماد على نماذج أدبية وروائية تونسية بهدف التأسيس لثقافة وطنية متماسكة على غرار العديد من التجارب العالمية مثل اليابان وإيران ومساعي المغرب الأقصى، إذ لا ننكر اليوم أنه بات يطغى على الساحة السينمائية حديث عن تجارب جديدة ومنها تجارب هذه الدول، وبالتالي فإن من شأن هذا التوجه أن يضفي طابعا تونسيا خاصا في السينما العالمية من حيث توفرها على مقوّمات المختلف التونسي في ساحات التوزيع السينمائية.

ونضيف إلى ذلك مثالا نرى فيه نموذجا ملائما لتجاوز تلك الأزمة، ألا وهو السينما السياحية/ ذات الطابع الدعائي الثقافيّ، التي تأخذ من الفضاءات التاريخية والآثار والأماكن الجغرافية مكونا من مكونات تأثيث حركيتها المشهدية عبر سلطة الصورة، وهو ما يصنع جمهورا سياحيا خاصا من شأنه أن يوفّر مداخيلا إضافية ويساهم في التأثير على جلب وفود سياحية جديدة من خلال الدعاية التي سيوفرها الجمهور الأول المواكب للعروض السينمائية، وهي تجربة قد تكون ناجعة جدا لو تمّ إجراؤها.

مسرح

«الغابة المقدّسة» لعبد الله شامخ : وثائقي بذريعة درامية

أنور الشعّافي

« الخيال La fiction هو ما يحدث لي والوثائقي هو ما يحدث للآخرين».

Jean-Luc Godard

حيث أن للعنوان علاماتيا وظيفة إنتظاريّة قد تتأكّد أو تنتفي بعد المشاهدة، فإن عبارة « الغابة المقدسة» يضعنا منذ البداية في عالم من الغموض Le mystère بين كلمة الغابة كفضاء متداخل التضاريس والمكوّنات وكلمة مقدّس بمفهومها الأنتروبولوجي وأما إصطلاحا فيحملنا العنوان إلى «الغابة المقدّسة أوروزون Oro-zoon بالبنين Le Bénin على حدودها مع نيجيريا أو إلى الغابات المقدسة بإقليم Fujian بجنوب شرق الصين.

تنطلق كاميرا عبد الله شامخ نازلة عموديا في مشهد مُكبّر Gros Plan لأوراق شجرة خضراء ليتواصل المشهد وصولا إلى جدار أحد المنازل برسومات مُبهَمة يرافقها صوت بطابع طقسي ثم ينطلق صوت الراوي بفرنسية ذات لكنة إفريقية مؤكدا دلالة المشهد بلغة الكاميرا حين يقول (نحن لدينا الغابة من حولنا) ونستمع في نفس الوقت لمؤثرات صوتية لحشرات غابية إفريقية مختارة بتمكّن لأن المؤثرات الطبيعية تختلف تبعا للمكان والفضاء،ثم تنحرف الكاميرا إلى مشهد شامل Plan d›ensemble لنكتشف أننا في قرية إفريقية يتبعها مشهد مكبّر لعملية طحن لأعشاب تستعير فيها حركة العصاتان إيقاع الرقص الإفريقي حين تدقّ الأقدام الأرض ثم تُختتم مشاهد ما قبل الجنريك بحركة صاعدة للكاميرا من ورقة شجرة خضراء كبيرة تصل بنا إلى وجه إفريقي مُختزِل لتعبيرات عمقية الشحنات فعملية رسم أشكال على الجسم وقناع على الوجه

والأقنعة هي إحدى المفردات الأساسية للثقافة الإفريقية ودلالاتها الرمزية المعبّرة عن هويتها الحضارية التي تكون برسومات طبيعية أو تنحو نحو التجريد كما هو الحال في هذا الشريط ، هكذا تتحرك الكاميرا التي تضعنا مباشرة في جوهر الموضوع : شريط وثائقي لكن بدافع درامي جعله عبدالله شامخ ذريعة للسيناريو وهو عيد الأجيال La fête des générations وهي الإحتفال بالمرور من جيل إلى جيل أو كما يقول الراوي هي عملية تحوّل وطفرة يحددها أحد شيوخ القرية بين سن 22 و 23 سنة ثم يحملنا المخرج إلى مجموعة من الممارسات الطقسية وإستحضار للعادات التي تقام في هذه المناسبة يختلط فيها الأسطوري بالإجتماعي بالمعتقدات الدينية عبر لغة سينمائية تستند للتسجيلي لكن في إطار الموضوع - الذريعة Le sujet-prétexte وهو عيد الأجيال ويبرز هذا في عملية التركيب Le montage وهي العنصر الأصعب في الأفلام الوثائقية مثل مشهد الطقوس الليلية والرقصات فالتركيب ينطلق من سيناريو واضح لكن المخرج المتمكّن من أدواته يعطي مساحة من التلقائية لكاميراه لكن بخلفية واعية وهو ما يُلاحظ في مسيرة شباب القرية في تحوّلهم من الطفولة إلى مرحلة النضج لتنتهي الرحلة بالإغتسال في النهر وبدايتها بمشهد يُحيلنا إلى نفس الوجه الإفريقي الذي شاهدناه في المشهد الإستهلالي لكن مغتسلا بماء النهر مع دلالات الماء في التطهّر من مرحلة ودخول أخرى كما جاء على لسان الراوي. ثم تتحرك الكاميرا متجولة في شوارع القرية وقد نُزعت عنها صفة «القداسة» والغموض وإذا بشبابها يستندون على جدرانها وهم يُدخّنون أو يمشون ماسكين بهواتفهم الجوّالة ومشهد حافلة يصعد ركابها حاملين حقائبهم للسفر بعيدا عن القرية لينتهي الشريط بزوم ورائية Une Zoom arrière لمشهد عام للقرية بمرافقة غنائية تقول (نحن لا نريد شيئا سوى أن تكون الأشياء على ما يرام ، هناك غرباء عديدون في القرية)...

« الغابة المقدّسة» لعبدالله شامخ الحائز على جوائز دولية عديدة هو شريط مُتحدِّث عن الآخرين كما قال Godart في تعريفه للفيلم الوثائقي، مُتمكّن فعلا من أدواته مستند لخلفية فكرية واسعة قاطعة مع الإستسهال وسينما البطاقات البريدية الفاقدة للمفكر والمعنى ، هو شريط بمعرفة من « فولاذ» و هو عنوان الشريط القادم لمخرجه المتألق عبد الله شامخ.

قراءة في كتاب

«ناحية البراءة» [1] رواية كافكاوية للكاتب اللبناني رشيد الضعيف

نبيل درغوث (كاتب)

تتوالد النصوص من بعضها البعض فكلّ نصّ لاحق هو في جدلية تأثّر وتفاعل مع نصّ سابق. وكما يقول رولان بارط: «النصّ نسيج من الاقتباسات تنحدر من منابع ثقافية متعدّدة»(2).

هذا ما لاحظته في روايات رشيد الضعيف حيث تتضافر نصوصه ضمنيا في مناخاتها الروائية مع نصوص روائية سابقة له. مثلا رواية "ليرننغ انغلش" التي تناولتها في مقالة سابقة تتناص مع رواية "الغريب" للكاتب الفرنسي ألبار كامو ورواية "أوكي مع السلامة" تحيلنا على مناخات الكاتب الأمريكي فيليب روث. أمّا روايته "ناحية البراءة" فقد استبطنت رواية التشيكي فرانز كافكا "المحاكمة".

"ناحية البراءة"

تدور الرواية حول قصّة الراوي الذي وقع اقتياده بالقوّة إلى مكان مجهول وحبسه في غرفة (مكتب) لعدّة ساعات ثم يقع اقتحام الغرفة للتحقيق معه.

"دخلوا إذن فجأة! أربعة رجال في ثياب مدنية, أحدهم جلس وراء المكتب, واثنان آخران وقفا قربه, إلى يمينه, ورابع وقف إلى يساره وهو الذي بادرني بالسؤال.

كانوا رجالا بكل معنى الكلمة, وكانت إرادة الحسم بادية على قسمات وجوههم.

[...] وفور أن اتخذوا أماكنهم بادرني (الذي ذكرته قبلا) بالسؤال, قال:

- من مزّق الصورة؟" (ص ص 6-5).

ثم نقلوه إلى بيته ليواصلوا التحقيق معه في حضور زوجته وابنه وأهانوه أمامهما وكانوا يتصرفون في منزله ليس كضيوف بل كأصحاب المنزل يأكلون ويشربون ويطلبون من زوجته أن تسهر على خدمتهم كأحسن ما يكون.

هذه نفس الوضعية الذي وجد فيها "جوزيف ك" بطل رواية "المحاكمة" لفرانز كافكا حيث يفاجأ "ك" في أحد الصباحات

برجلين في غرفة نومه يخبرانه باعتقاله دون سبب واضح ويتصرفان في هذه الغرفة بعنجهية بل يأكلان أيضا فطوره الصباحي.

هذه الوضعية الكابوسية الذي وُجد فيها راوي "ناحية البراءة" جعلت رشيد الضعيف على كامل 90 صفحة من الرواية يستعمل المونولوغ الداخلي وهو أفضل تقنية سردية تسبر أغوار نفسية الراوي/الشخصية ففي هذا المونولوج نعرف اسم الشخصية/الراوي.

"هيّا أيها الرشيد فقد دلّعت ذاكرتك طويلا, فأتعبها الآن قليلا, فلن يقتلها التعب. فبمن التقيت, بمن اتصلت, بمن اجتمعت, ومن منهم عليه شبهة, أو ممكن أن يكون؟" (ص 66).

وقد لا يحيل هذا الاسم (رشيد) الى اسم الكاتب رشيد الضعيف مثل (ك) على فرانز كافكا. فـ"رشيد" فعل مثل "ك" في رواية "المحاكمة" كلاهما بحث في تفاصيل حياته كي يعثر على خطيئته.

في هذه الساعات الطويلة التي احتجز فيها "رشيد" بالغرفة المكتب. جاءت اللغة السردية محايدة وخالية من أي انفعال وهو نفس أسلوب كتابة فرانز كافكا. كتابة درجة الصفر حسب عبارة رولان بارط. استسلام كامل لرشيد وغياب إرادة الاحتجاج لديه وعدم رفضه لما يحدث له.

مثّل الاستلاب والتخاذل ورفض المواجهة طريقة اختارها هذا البطل السلبي لتجاوز أزمته مع المحققين.

إنّ رواية "ناحية البراءة" على ما فيها من عبثية الحياة ومهزلتها. ظلّت متلبّسة بسخرية سوداء من السلطة السياسية والدينية الذي هاجسها محو شخصية الفرد/المواطن في ظلّ الدولة التسلطية/الشمولية حيث ينتفي حق الفرد في الحرية وأن تكون له خصوصياته بل تسعى هذه السلطة إلى هتك حياته الخاصة. فهذه الأجواء الكافكاوية جعلت الرواية تنمو في فضاء كابوسي معتّم.

---

1 - رشيد الضعيف "ناحية البراءة" - دار الساقي- ط 2 بيروت 158-2013ص.

2 رولان بارط "درس السيميولوجيا" -ترجمة عبد السلام بنعبد العالي-دار توبقال للنشر-الدار البيضاء -1993ص 85..

الكتابة على الكتابة في المجموعة القصصية «جهنم الجدارين.. ومتاهات أخرى» لرحيم بن عامر

هيام الفرشيشي (ناقدة)

عن منشورات المؤسسة الوطنية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة صدرت المجموعة القصصية الأولى "جهنم الجدارين" للقاص التونسي رحيم بن عامر في 2021، وهي قصص بنيت على أنقاض نصوص سابقة من خلال إعادة استعمال صورها وأفكارها، وتأخذ أدواتها من فنون متعددة، ولكنها تستوقفنا كقراء من خلال الأحداث المربكة والشخوص المهملة في الواقع. تشخص الأزمات النفسية والفكرية، وتطغى عليها السخرية السوداء والمفارقة.

وتنقسم نصوص المجموعة إلى ثلاث محاور:

1/ نصوص قصصية تصور الحالات الداخلية للاوعي: من بينها كابوس العوالم السفلية في "جهنم الجدارين"، والجنون الإبداعي والهروب إلى الغاب حيث العزلة في قصة "نديم"، والاغتراب الأسري وفقدان اللغة قدرتها على التواصل قصة "اغتراب".

2/ نصوص تخرج من أطر الواقع وفيزيائية الجسد في "أيام رجل ميت"، و"طقوس لتعطيل الزمن".

3/ نصوص تصور رغبة الراوي في الخروج من حالة التمزق والتشظي واسترجاع الذات وهي قصة "العائد"، وقصة "حنين مكبل بالكآبة".

وتغلب على هذه النصوص الصبغة الخيالية، تكسر خطية الزمن، شخصياتها عادية بسيطة، وردت في شكل نصوص طويلة أو قصيرة جدا.. تتناول الواقع بسخرية مع التزامها بالسرد الواقعي لكنها تنسج بعض الأحداث التي يستحيل حصولها في الواقع إذ يخلط السارد الواقع بالخيال دون تبين الخط الفاصل بينهما. مما يجعل الشخصيات في حالة لافهم للأحداث التي عاشتها، فالراوي لا يعرف أي شيء عن الوضعيات المعقدة التي يعيشها، قد يجد نفسه في ورطة، أو في أوضاع غير متوقعة. يعيش حالات نفسية متقلبة، ولكن في قالب مرح واستكشاف فوضى العالم.

"جهنم الجدارين"

لو عدنا إلى قصة "جهنم الجدارين" التي وسم بها مجموعته فإنها تعود بنا إلى نصوص سردية سابقة عن الجحيم. وهي تتحدث عن استرجاع رغبات رجل نحو عشيقته، وحين أفاق وجد نفسه محاصرا في مكان ضيق بين جدارين عاليين متوازيين من حجر مسلح. فشعر بالرعب داخل العالم المحسوس لا خارجه. أسوار ضخمة تقمع الرغبة المقموعة. تقذفه إلى عالم سفلي يتميز بالتعذيب النفسي والجسدي. فالبعد النفسي يشير الى أن التخيل لا يشبع الحاجة حين لا يجد مادة لإشباعها، والرموز مثل الحيطان العمودية والأصوات المنتقدة من خارج عزلة الراوي، تدل على الصراع بين الرغبة وإشباع اللذة خياليا وإجهاضها من طرف الأنا الأعلى (الحارس الاخلاقي القديم) بعلو أصوات الأب، الزوجة والأم.

فكانت "جهنم الجدارين" مآل المذنبين أو هي السجن الخرافي الأبدي يجهض الحلم بالخروج كجحيم دانتي عقاب للشهوة. وجزاء للخطيئة، أو "جحيم سارتر" في غرفة بلا نوافذ، وتأنيب الضمير الأخلاقي للشخصيات حين وجدوا أنفسهم في مكان لا مخرج منه. كما فقدت الجنة بواسطة جون ميلتون بسقوط الملائكة المتمردين في زنزانة لكنهم قرروا أن هذا هو المكان الذي يريدون البقاء فيه.

في قصة "نديم"

كان التصدير إقرارا قاطعا بالهروب للغاب دون الخروج منه أبدا، حيث مآل "نديم" الذي جن ولم يعد لعالم العقل. قالها نديم: "في ظلمة الليل اللامتناهي.. كانت الأوراق ثابتة على سكونها وكان العالم لا يتنفس". والإحالة لهروب المجنون إلى الغاب تعود بنا إلى الديانة اليهودية، فالمجنون هو المريض عقليا أو المخطئ الذي لم يحافظ على إيمانه وفضيلته. وينظر للمجانين كمخطئين يعيشون في الغابات مختبئين كالذئاب، وهذا ما يفسر

هروب نديم من المصحة إلى الغاب.

ولكن قبل الهروب من المصحة إلى الغاب هرب "نديم" من الواقع إلى الخيال، ومن الوعي إلى اللاوعي الخلاق. وكان جنونه الإبداعي ردة فعل على والده الذي وضعه في الظل. فالجنون رد فعل على القمع الأخلاقي والاجتماعي والديني.

الجنون الإبداعي كما عاشه "نديم" يرتبط بالتخييل والفكر الإحيائي، لم تكن تلك الرؤية مجرد تهويمات بل أجنحة نبتت في الأقدام. وخلخلة الحواس عبر لغة شعرية واستعارات تخلخل العلاقات، ليرى الأشياء المألوفة بصور أخرى. حين يطير المقعد ليكون عشا من شجرة بلوط عالية، ويطير الفراش به ورفيقته، ويبقى معلقا في سقف الغرفة مثل ثريا تضيئها نجمته. أو يرى زلاقة تحمله من سطح الجبل إلى قمته تزلجا مضادا.

وهذا الجانب يرتبط بالمغامرة والتلاعب بالأفكار. وقد ربط لامبروز / الإبداع والجنون. وبين جوردان أن الإبداع جعل الغريب مألوفا وجعل والمألوف غريبا"..إلا أن الجنون ينتهي بالسوداوية والاغتراب العقلي:

"في آخر الصف توجد حفرة، أثر شجرة اجتثت من عروقها. وقد أرعبني التفكير في أن نديم هو تلك الشجرة. نديم شجرة اجتثها النظام لأنها جانحة عن الأشجار المتناسقة".

في هذه القصة يتناول رحيم بن عامر الجنون بين الإبداع ورؤية المجتمع الأخلاقية له، وما يعاني المبدع من عقاب واضطهاد حد تحويل الجنون الإبداعي إلى جنون مرضي، والهروب إلى الأماكن الخالية من الناس ليدخل في عزلة أبدية عبثية..

في قصة "العائد"

نلمس الخروج من عالم الجحيم إلى جنة السلام. فهو يتخلص من لحية الجحيم الأبدي، بل ثمة تمازج بين اللحية واللوحة في تلاعب باللغة.. فأي ورع وإيمان بلون الدم والحروب والعواطف المتطرفة العدائية الحادة.

تحيل هذه اللوحة إلى لوحة سلفادور دولي، تبرز "وجه الحرب" المليء بالبؤس والرعب، وآثار ها النفسية الحادة. وقد تم رسمها في عام 1940 مع نهاية الحرب الأهلية الإسبانية وتقريباً بداية الحرب العالمية الثانية.

في قصة "حنين مكبل بالكآبة"

يواجه الراوي ظله من خلال التفحص في وجهه في المرآة على ضوء الشمعة. يضعنا في مناخات لوحات ميشال دي لاتور من خلال استخدامه النور الضئيل ووضعية الشخصيات التي تنبري في حالة التأمل والشرود والتطهر، لشخصيات محملة بالخطيئة تحمل معها صور ذاكرة خربة تنعكس على الجدار، لتعكس الجانب الذهني للشخصية أمام المرآة ومن خلال الظلال على الجدار يبرز رغبة الفن في التحرر.

ينقد السارد من خلال هذه القصة سلطة متشددة: دكتاتورية اسرائيل فرانكو. لن يختلف عن كل سلطة تغتال أصوات الشعراء والفنانين وأغاني الجمال والحرية. وكأنه يحاول استرجاع المبدع داخله، ويكتم صوت الرصاص الذي وجهه نحو حلمه الإنساني كلما ضغط على الزناد فيرى وجهه الداكن فجر على شكل غروب. هو صراع الفن ضد السياسة والحياة ضد الموت والجدوى ضد العبث.

الاغتراب

قصة تصور الفراغ واللامعنى من خلال الانفصال الأسري بين الآباء والأبناء تحت سقف واحد. وعدم التواصل اللغوي.

طقوس لتعطيل الزمن:

أشار إلى الروابط الفنية المنشئة للنص، فهي روابط غير جدية من خلال المحاكاة الساخرة وتحويل أجزاء منها عبر اللعب باللغة والحروف للتعبير عن بشاعة الواقع المنظم وروحانية الحلم الفوضوي. فتحولت بحيرة البجع لتشايكوفسكي الى بحيرة البشع.

نص قصصي يطغى عليه المرح، يعرض فوضى الفن وحالات التفصد من قوانين الزمن الموضوعي ونظام الحداثة: الساعة العاشرة زمن الأفكار المكتظة. يتعطل الزمن من خلال الحلم والنشوة والانتظار. طقوس سحرية الواقع واقعية الغرابة. رؤى الأنبياء وتفاسير الكهنة والسحرة. الحياة والموت... الحب والحرب.

ويلفت الكاتب النظر إلى مصدر القصة وكتابة القصة من داخل أعمال فنية أخرى. ويثير السخرية من المادة الأصلية وإن كانت موسيقى، فكيف لموسيقى البالي أن تحتوي صخب الفن وفوضاه، وكيف لها أن تضع الإصبع على واقع عبثي تنذر إشاراته الحمراء بخطر لا علاج له إلا الروح.

أيام رجل ميت

تشير القصة إلى رواية تولستوي "آنا كارنينا" التي نشرها بين عام 1873 وحتى سنة 1877، وقد شغلته بأسئلة الحياة والموت من خلال معتقدات لا دينية نظرا لفساد الكنيسة والمؤسسة الدينية عامة. مما جعله محل تتبّع وإقصاء.

أيام رجل قرأ تولستوى و سكر. السقوط لأسفل، لا أحد يحزن رحيله أثناء حياته، الجميع يحولونه لآلة للدفع. لن تغفر الصديقة خيانة موته.. سقوط أبدي بلا قرار.

الشخصية الخارقة التي تتحرك في عالم غير طبيعي لم تعد تعني أي شيء بعد موتها. إنها خارج حسابات الجسد والمصلحة والقيم الطبقية. أي اكتشاف الواقع من خارج المنطق الطبيعي والعقلي والعلمي.

لم تتحدث القصة عن عالم ما ورائي خيالي غامض، بل كانت تتحرك في الواقع والتحرك في زمن خطي وأمكنة وشخصيات معروفة، وكأن الجسد هو الروح والروح هي شيء جامد.

على سبيل الخاتمة

في هذه النصوص القصصية اعتراف ضمني بالتناص بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، كما كثف السارد من تشويه الزمن والخروج به من خطيته إلى تداخل بين الحاضر والماضي والواقعي والعجيب، وصور أزمات العصر عبر شخصيات ووضعيات مشحونة بالقلق والشعور بالاضطهاد والتهديد وتوقع الخطر.

«فرسان ينتظرون المشاركة في موكب» للواسطي : أول عمل عربي في التصوير

أ.د سامي بن عامر

عاش يحيى بن محمود الواسطي في القرن الثالث عشر الميلادي وهو رسام وخطاط عربي. ولد في بلدة واسط في جنوب العراق . زوَّق أكثر من نسخة من مقامات الحريري وغيرها من أمهات الكتب العربية وهو مؤسس مدرسة بغداد للمنمنمات.

هو مجدد في فنه غير خاضع للقواعد والأصول الفنية التقليدية، مثقفا واسع الاطلاع. ترجم الصور الذهنية إلى واقع، وعاصر جيلا من مفكري بلاد الرافدين أمثال المؤرخ ابن الأثير والجغرافي ياقوت الحموي وغيرهم. أقام معارض في مكتبات المدرسة المستنصرية ببغداد وأقتُنِيت له اعمال فنية (مخطوطات) في الاندلس والمغرب العربي خصوصا من قبل ملوك المُوحِّدين في مراكش.

يندرج عمله بعنوان: « فرسان ينتظرون المشاركة في موكب » ضمن كتاب مقامات الحريري الذي أثراه بمائة منمنمة من رسومه المُعبِّرة عن الخمسين مقامة. وقد انجزه عام 1237 م ويعتبر أول عمل في التصوير العربي نعرف اسم مبدعه وهو محفوظ حاليا في المكتبة الوطنية بباريس وتوجد نسخة أخرى منه مزينة برسوم الواسطي في مكتبة سانت بطرسبرغ بروسيا، إلا أنها وقعت فريسة الإهمال.

نتبين في هذا العمل مشهدا ينبض حركية وحياة ويتضمن صورا لمجموعة من الموسيقيين المتطين خيولَهم وحاملين للرّايات وهم في

حركية فائقة انتظارا لافتتاح الحفل. نشاهد البعض ينفُخ في بوقه مثل ما نشاهد بعض الدواب تضرب الأرض بحوافرها.

ولتجنب التكرار، يرسم الواسطي الرايات والأبواق في ظرف عمودي تباينا مع الوضعيات الأفقية التي تحدثها رسوم الخيول والفرسان. ونتبين الطُّبَّال في وضعية عالية تخرج عن النّسق الأفقي الذي تحدثه مجموعة رؤوس الفرسان المُصطفَّة. أما البغل، فيتباين بأذنيه الطويلتين مع بقية الخيول بطريقة مضحكة.

يتصف المشهد بألوانه الثرية التي تتراوح بين الأحمر والبني والأخضر مرورا بتلوينات تتوسطها. وكان الواسطي يستعمل الحبر الأسود ويخلطه ببقايا حرق ألياف الكافور ويمزجها بزيت الخردل وبعض الألوان الأخرى التي يقوم بتحضيرها بنفسه.

للواسطي قدرة عجيبة على رصد ما يحدث في مجتمعه. ورغم استلهامه من الفنون الفارسية والبيزنطية ومن تأثيرات مسيحية وساسانية وحتى آشورية فقد استطاع ان يصنع أسلوبا خاصا به ومتفرد.

يقول عنه الرسام العراقي شاكر حسن آل سعيد «إن أهمية الواسطي الفنية هي في أنه استطاع بطريقة تعبيره، اقناعنا بان ثمة عالَما ممكنا باستطاعته ان يستند على عالم عَياني في استشفاف الحقيقة ودون أن ينقله».

الواسطي منارة مضيئة في تاريخ الفن العربي.

نفس عراقيّ في فضاء تونسيّ

د.ياسمين الحضري

أجواء فنيّة جمعت ثلّة من الفنّانين ببهو أحد النزل بصفاقس يوم 7 فيفري 2022 ضمن اللّقاء الدّولي الأوّل للفنون التشكيليّة بمشاركة الفنّانة عائدة كشو من تونس رفقة فاتح بن عامر وكلّ من العراقيين قصي ياسين جابر، حيدر علي الشيباني، محمود كرملي و"شاكر خالد.

لم تهدأ الأجواء الفنيّة على طول اليوم والتي كانت في شكل ورشات مفتوحة جمعت بين خصائص عديدة للممارسات الفنيّة من رسم حرّ وفنّ تعبيريّ وما انفكّ الفنّان العراقي شاكر خالد من ترك بصمته في خلطه بين ماهو تعبيري وتجريدي مع إقحام الحرف العربيّ فينهل من التراث العراقي القديم ويوغلها في تركيبات فنيّة جديدة.

العمل الأوّل ضمن الورشات المفتوحة

يعتبر الرّجوع إلى الهويّة كأساس في أعمال هؤلاء الفنّانين العراقيين ركيزة أساسيّة وتجذّر فكرة المحلّي نحو العربي على نطاق أوسع فالعالمي.

وقد أفرزت الورشات 12 لوحة جمعت بين الحرف والمسطّحات اللّونيّة وتنوّعا في الألوان كان هدفها الأوّل الانفتاح على الفنّ العراقي واكتشاف خباياه دون أن ننسى السّعي في الدعوة لاقتسام الخبرات الفنيّة المنفتحة بين البلدين وتبادلها فتلقّي بين المشاركين من هواة وفنّانين.

تذكّرنا أغلب اللّطخات اللّونيّة والتركيبات في هذه الأعمال بأعمال شاكر حسن آل سعيد كمرجعيّة فنيّة كان فيها وفيّا للرّموز والعلامات المأخوذة من التّراث العراقي كالزّخرفة الإسلاميّة ونزعة "البعد الواحد" باتّخاذ الحرف العربي موضوعا للعمل الفنّي والموازنة بينه وبين السطوح التصويريّة.

وفي تخليد للأثر للوفد العراقيّ، تحوّلت الوجهة إلى جامعة صفاقس فتمّ إنجاز جداريّة بقاعة الاجتماعات على طول عشرة أمتار جمعت بين الألوان والحرف العربيّ كبصمة.

الجداريّة التي تمّ إنجازها بجامعة صفاقس

وإنّ ما يميّز هذه الجداريّة ذلك التوازن في إدخال جزء "خطيّ" وتناسق علاقتها مع العناصر الأخرى من تمثيل للمعمار وغيرها من العناصر الأخرى.

ولئن اختلف مكان النشاط الفنّي لهذا الملتقى الدّولي إلاّ أنّ القاسم المشترك بين التكوينات ارتكز على الحرف والخطّ العربي بغاية توظيف إمكاناته العميقة اللامحدودة والإبقاء كذلك والمحافظة على الإرث الفنّي في محاولة لتقاسمها في قطر جديد وسياقات جديدة.

هوس المكانة

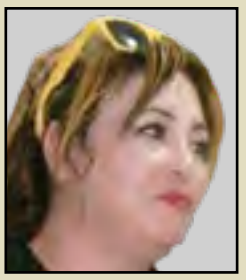

بقلم: بقلم سيدة عشتار بن علي (شاعرة)

أن يكون شخص ما ذا مكانة معناه ان يكون موضع اهتمام وتقدير آراؤه منصت لها وحاجاته ملبّاة ..أن يسعى الجميع لشرف الالتقاء به فترى الجميع يقفون أمامه بكل اجلال وتراهم يسعون إلى الإحتكاك به وتسمع الكثيرين من أصحاب المصالح والوصوليّين أو المسكونين بشغف الاحساس بالأهمية ممن كان لهم معه لقاء عابر أو صدفة يدّعون أنّ صداقه حميمة بذلك الشخص لذلك تراهم يتهافتون لالتقاط الصور معه ويمطرونه بعسل الكلام والاطراء حتى لو كانوا في دواخلهم يكرهونه او يحتقرونه وترى الدّعوات تتهاطل عليه لكل المناسبات بأنواعها لتشريفها بحضور ه بمكانته العالية حتى لو كان اكتسبها عبر التحيل والنفاق والسّرقة أو حتى تجارة المخدرات ..لا يهم ..المهم انه شخص ذو مكانة والوقوف معه جنبا إلى جنب يضفي إشعاعا وخيلاء ...سوف ترى كلماته يصغى اليها باهتمام مفتعل والرؤوس تومئ تأييدا وانبهارا مفتعلا أيضا مهما كانت درجة تفاهة ملفوظاته وأفكاره وترى نكاته مستظرفة تنطلق لها القهقهات عاليا مهما كانت درجة سماجتها وثقل الروح الصادرة عنها. والغريب أن أغلب هؤلاء المتملّقين لا يبغون من وراء مجهوداتهم فائدة ماديّة ملموسة لأنفسهم ، بل غالبًا ما يريدون ويبحثون عنه هو الشعور بالأهمية ..أهمّيتهم في أعين الآخرين طبعا ..يكذب من يدّعي أنّ نظرة الأخر له لا تعنيه أو أنّه يكتفي بتقديره لنفسه وذاته بمعزل عن هذا الآخر مع استثناءات قليلة بل نادرة ولم يخطئ الكاتب والفيلسوف البريطاني آلان دو بوتون أنّ حياتنا يحدّدها قصّتا حبّ الأولى قصة حب طلباً للارتباط الحميمي والثانية قصّة حبّ الآخر لنا وهذه أكثر سرية ومدعاة للحرج.... كثيرون يفعلون أي شيء من اجل اكتساب هذا الحب ..حب الأخر وان كان مزيّفا ..بمعنى أصح مكانتهم وأهمّيتهم في أعين الآخرين ..كثيرون مستعدون للتضحية بأيّ شيء وأي معنى وأي مبدأ في سبيل الظفر بها وان عجزوا يتظاهرون باكتسابها...كثيرون من أصحاب الثروات يغدقون ويسرفون لا لشيء الّا من أجل الاحساس بالأهمية .. في كتابه "نظرية المشاعر الأخلاقية" يقول آدم سميث أنّ سبب كلّ سعي إنساني وجشعه وتطلعه للثروة والسلطة والمكانة هي "الرغبة في أن يكون محط أنظار الآخرين وموضع عنايتهم فالرجل الثري يعتز بثرواته لأنه يشعر أنها تجلب إليه استحسان العالم وحب الناس وتجر إليه الإعجاب، وعلى النقيض يخجل الفقير من فقره لأنه يضعه بعيدا عن أنظار الناس".....كثيرون مستعدون لتدمير أصدقاءهم وأحباءهم الحقيقيين وتعويضهم بجوقة من المنافقين والانتهازيّين الّذين يغرقونهم بالتّهليل والمجاملات الكاذبة ليحسّو بمكانتهم وأهميتهم ..قد يضحّون بإخوتهم ولم لا حتّى آباءهم وأمّهاتهم بسبب هوس المكانة والاحساس بالأهمّية في أعين الآخرين ...ألم نسمع عن شخص متطرف وصل به الأمر الى قتل أمه بعد تكفيرها ..ظاهريا فعل ذلك في سبيل الله لكن الدافع الحقيقي هو وإحساسه بالخزي وبضآلة الحجم ..أراد ان تكون له مكانة ويذكر اسمه بإعجاب وتقدير لقوّة إيمانه وصلابته بين أفراد المجموعة الإرهابية المجرمة التي استحوذت على عقله واستعبدته ...ألم نسمع عن جريمة بشعة بوادي الليل ارتكبها شاب فاشل وعاطل عن العمل حين قام بذبح أمّه وأخواته والدافع إحساسه بالمهانة مقارنة مع أخواته الناجحات المرموقات ..لا غرابة أن ترتكب جريمة كهذه من طرف شاب عاطل عن العمل محدود التعليم إضافة إلى إدمانه للمخدرات لكن ماذا حين تصدر الجريمة أو الشّروع فيها عن شخص متعلم وحائز على أعلى الشهائد كأن يحاول أحد المثقفين التخلص من منافس له بمحاولة قتله لأنّ هوسه صوّر له أنّه يحول بينه وبين المكانة الّتي هي عبارة عن منصب يمكن أن يجعل منه شخصا ذا مكانة في وسطنا الثقافي المريض البائس...مثقفون كثيرون كانوا قبل الثّورة يعملون كمخبرين للبوليس السّياسي وتسبّبوا لزملائهم في السّجن وتدمير حياتهم عبر تقاريرهم الانتهازية التي تحرّكها الرغبة في بلوغ المكانة والأهمية المتخيّلة.. هل تصدقون أن هناك من يلجأ حتى الى المشعوذين للحصول على التمائم والتعويذات التي تجلب لهم القبول ومحبة الرسول ...لا أبالغ ..كلنا نعرف حقيقة هذه الممارسات وهي ملاذ الكثير من الفنّانين وأصحاب المناصب والمشاهير المسكونين برعب فقدان مكانتهم .. وصدقوا ..في أوساط المثقفين أيضا وبمعنى اصح المحسوبين على المثقفين الذين يعتبرون الإبداع والثقافة أداة للتفاخر والاستعراض والوجاهة الاجتماعية...في ما مضى كان ذلك الهوس خفيّا دفينا في النّفوس والأغلبية راضون أو يتظاهرون بالرّضا لكن مع انتشار مواقع التّواصل الاجتماعي لتكون متاحة للأغلبية من النّاس استيقظ الوحش النّائم داخل أغلب النّفوس واستيقظت الرّغبات الدّفينة في حيازة الأهمية والمكانة أو ما يمكن ان نطلق عليه كلمة التفوقراط ...نعم لقد ساهمت شبكات التّواصل الاجتماعي في تأجيج هذا الهوس ..هوس الرغبة في الإحساس بالمكانة حيث الفضاء متاح للأغلبية للتّسابق و التزاحم لاستعراض التفاخر بالذّات والتّرويج لها واشباع رغبتها في البروز والإحساس بالأهمّية والمكانة عبر الصّور والكلمات المنمّقة للتّعبير عن النفس والنتيجة تدنّ كبير في مستوى التفاعلات الانسانية الحقيقية وحميميّتها فصفحات فايسبوك ليست لربط الصداقات وتعزيز العلاقات مثلما روّج لذلك وانما هي فضاء للاستعراض والتفاخر بالانجازات والنّتيجة هي تعزيز ثقافة المقارنة ...ذكر ليون فستنغر صاحب نظرية المقارنة الاجتماعيّة التي تعتبر من أهم النظريات في علم النفس الاجتماعي أن البشر بحاجة الى النظر الى أشخاص آخرين ومقارنة نفسه بهم حين يتعلّق الأمر بالهويّة والذّات لكن المقارنة كثيرا ما تسبب الاحباط لمن يقع في فخّها ويسيء استخدامها ومعلوم في علم النّفس أنّ المقارنة هي سبب تعاسة أغلب البشر وكثيرا ما تتحوّل الى لعبة خاسرة ومرهقة وكثيرا ما تتسبب في التّخريب الذّاتي للنّفس ... للأسف باب فخ المقارنة بين حياتنا وحياة الآخرين أصبح مفتوحا على مصراعيه بسبب العالم الأزرق..كاذب ومراوغ من ينكر ذلك ...في حمّى الاستعراض الفايسبوكي تنشأ المقارنة لتكون النتيجة محزنة ..نفوس مذعورة وأرواح قلقة ..ساخطة ..رافضة ..كارهة لغيرها ولذاتها بسبب الوقوع في فخّ الإحساس بالنّقص والشّعور بعدم الأهمّية ..ألا تلاحظون كم كثرت صفة الرّؤساء والمديرين العامين الافتراضيين بما أتاحت الانترنات من إمكانية لإنشاء المواقع والمجلّات الالكترونية حتى لو لم يكن لأصحابها ما يقدّمون ..علينا المهم أن يؤكّد على صفته كرئيس ومدير عام للموقع الفلاني ...ألا تلاحظون تلك الشّلّالات من شهائد الدكتورا الفخرية والتكريمات الافتراضية التي تجتاح الفضاء الأزرق والتي يضحكون بها على ذقون البسطاء ..كل هذا دافعه الرّغبة في الإحساس بالمكانة ...على فايسبوك أيضا ترى الحشود يرهقون أنفسهم وجيوبهم للتفاخر والاستعراض وما أكثرهم أولئك الّذين يتجنّون على أنفسهم وعلى إمكاناتهم المادّية من أجل تغيير أثاث منازلهم ومظهرهم الخارجي ومآكلهم فقط لالتقاط الصّور واستعراضها على الفيسبوك والايهام بأنّهم ينعمون ببحبوحة من العيش والحقيقة أن أفضل أيّامهم يعيشونها على فايسبوك وربّما أسوأها في الواقع .. حتّى ونحن نتخبّط في زمن الجوع والفاقة بسبب الأزمة الاقتصاديّة التي نعاني من ويلاتها اليوم ترى حين تدخل الى فايسبوك ترى الجميع يتنافسون من أجل التظاهر بامتلاكهم الحياة الأجمل والأكثر اثارة لكن كم من مشاعر الحزن والإحساس بالوحدة والعوز تختبئ خلف تلك الابتسامات المزيّفة ...كم من شخص يستيقظ من نومه المتقطّع مرعوبا من كمّ الدّيون المتراكمة على كاهله لكنه مع ذلك يهرع الى العالم الأزرق ليغالط نفسه ويغالط الآخرين.. لا يهمّ ...المهم أن يلبّي نداء هوسه ويخبر معارفه بأنه ذو مكانة وجدير بلفت الانتباه...كلّ واحد يريد أن يستعرض تميّزه وتفوّقه وأهمّيته حتّى وان كان مدركا في قرارة نفسه أنّها أهمّيته مزيّفة ..يا لهوس المكانة ..معبودة النّفوس الّتي يأتي بفضلها الرّخاء والدّلال والتّقدير والمحبّة بين ظفرين.. شيزوفرانيا جماعية تجتاح الحياة اضافة الى تعاظم مركّبان نفسيّان سلبيّان هما الحسد والنّرجسيّة ..كم من علاقات عائلية أو صداقة اغتيلت بخنجر هذين المركّبين اللّذين عزّزهما فايسبوك والسّبب هو الاحساس بالنقص والحسد وما يتبعه من نقمة ..يا لجنون المكانة ... تلك المعبودة الّتي يلهث خلفها أغلب الخلق جاحظي الأعين بارزي الأنياب.. مستعدين لفعل أيّ شيء في سبيل الحصول عليها.. تلك الّتي كثيرا ما يستعملها الزّعماء السّياسيّون وقادة الدّول وأصحاب المناصب وأرباب الأموال كنقطة ضعف لاستغلال الكثير من المهووسين سرّا أو علنا بمرض المكانة خاصة من بين النّخب عبر النّفخ والتكبير في الايغو المحموم بدواخلهم ..الذّات المزيّفة الّتي تسيطر على نفوسهم حيث تقع السّيطرة عليهم فقط عبر اشعارهم بأهمّيتهم ومكانتهم وبث الطمع في نفوسهم بالحصول على المزيد ثمّ بعد استعمالهم واستنزافهم من أهمّيتهم الحقيقية يقع التّخلّي عنهم و الالقاء بهم ...كم من رقبة كسرت وكم من عنق دقّ بسبب الايغو اللّعين ..بسبب السعي المحموم الى بلوغ المكانة ..

يا لهوس المكانة.

معرض "تراثنا ثروة لا تقدر بثمن" بمدينة الثقافة الشاذلي القليبي

سيتم تدشين معرض "تراثنا ثروة لا تقدّر بثمن" الذي تشرف على تنظيمه وزارة الشؤون الثقافية يوم 18 فيفري الجاري بمدينة الثقافة الشاذلي القليبي بالعاصمة .

وينتظم هذا المعرض بمساهمة كل من المعهد الوطني للتراث ووكالة أحياء التراث والتنمية الثقافية ووداية أعوان وموظّفي المعهد الوطني للتراث ومسرح الأوبرا.

ويضمّ المعرض 374 قطعة تم إختيارها من جملة 40000 قطعة تم إسترجاعها أو حجزها في إطار عمل المعهد الوطني للتراث بين سنتي 2012 و2019.

يذكر أن المعرض يحتوي على قطع أثرية من حقب تاريخية مختلفة: من الفترة البونية حتى التاريخ المعاصر وقد تم تقسيم هذه القطع إلى 4 محاور تجسّد الحياة اليومية، التحف الفنية، المنحوتات والعناصر المعمارية والزّخرفية، المعتقدات والأديان.

"اللباس التقليدي : هوية وطنية وخصوصية جهوية" شعار شهر التراث لهذا العام

شهر التراث هي تظاهرة ثقافية سنويّة تنظّمها وزارة الثّقافة والمحافظة على التّراث انطلاقا من يوم 18 أفريل إلى 18 ماي من كل سنة، تحتفي بالتّراث الثّقافي التّونسي المادّي واللاّمادي في كافّة جهات الجمهوريّة وذلك عبر تنظيم حفلات وعروض للفنون الشعبية ومعارض للصناعات التقليدية..

وستحتفي وزارة الشؤون الثقافية هذه السنة بالدّورة 31 لشهر التراث وذلك بداية من 18 أفريل إلى غاية 18 ماي تحت محور "اللباس التقليدي: هويّة وطنية وخصوصية جهوية".

ويعتبر اللّباس عنصرا هاما من عناصر التراث غير المادّي الذي يعكس الهوية الوطنية وتجذّر الإنسان وارتباطه بثقافته المحلية حيث ظلّ ولا يزال اللّباس عبر الزّمن محافظا على خصوصياته الإبداعية ومميزاته التراثية وجزء لا يتجزّأ من الهوية الثقافية للبلاد.

هذا وتقرّر أن يحتضن موقع أوذنة من ولاية بن عروس فعاليات الافتتاح على أن يتمّ الاختتام في متحف دوز من ولاية قبلّي.

بدار سيباستيان الحمامات: "أوبرا تناسب اختيارك"

يقدم المركز الثقافي الدولي بالحمامات – دار المتوسط للثقافة والفنون في الفترة الممتدة بين 17 و20 فيفري الدورة الجديدة «Dar Sébastien fait son opéra ..»

يذكر أن تظاهرة دار سيبستيان الخاصة بالأوبرا أصبحت حدثا دوريا مهما وتقليدا راسخا في مدينة الحمامات

صنع على مدار دوراته المتعددة جمهوره الخاص.

لقد استمر هذا الحدث السنوي مع الأصوات الاوبرالية الرائعة، لأنه وجد ترحيبا حارا من الجمهور ومساحة مهمة للأصوات التونسية والأجنبية التي تخصصت في هذا اللون الموسيقي.

إن قاعة دار سيبستيان لا تشبه نظيراتها الأوروبية من حيث هندستها وإبعادها الكبيرة التي تعطي للأصوات الاوبرالية أبعادا مضاعفة ولكنها تمنح لجمهورها حميمية متفردة في الالتقاء بأصوات مميزة وتتفرد بهوية معمارية خاصة وموقع فريد داخل جنان المركز الثقافي الدولي بالحمامات...

يقدم المهرجان في دورة هذه السنة سبع مجموعات ببرامجها المتنوعة التي تتيح الفرصة لاكتشاف أو إعادة

اكتشاف الأعمال الرئيسية للموسيقى الغنائية الاوبرالية من خلال الألحان الشهيرة وغيرها من الألحان

الأقل شهرة لأول مرة ، كما يتضمن هذا اللقاء الاوبرالي إقامة فنية تشرف عليها الميزو سوبرانو البلجيكية "كلوتيلد فان ديرين"..

فضاء برج القلال بصفاقس يحتضن المعرض السنوي لجمعية أحباء الفنون التشكيلية

جمعية أحباء الفنون التشكيلية بصفاقس بعثت سنة 1989 على يد ثلة من الفنانين وعشاق الفنون بصفاقس بهدف نشر الثقافة الفنية والتشجيع على فتح الفضاءات الثقافية وتنظيم المعارض والندوات واحتضان الورشات واللقاءات...

اتخذت هذه الجمعية من الفضاء الثقافي "برج القلال" مقرا مفتوحا لاحتضان إرهاصات الحياة على المحامل الفنية المختلفة والاحتفاء بالضيوف والجمهور...

وفي هذا الإطار أطلقت الجمعية دعوة الجميع الفنانين التشكيليين للمشاركة في معرض جماعي بعنوان "ريح الورد" Un vent de roses" ستنظّمه لجمعيّةبفضاء برج القلال من 2 إلى 31 مارس القادم، وتستدعي للمشاركة فيه مختلف الأنماط الفنيّة من رسم، نحت، خزف، تصوير شمسي...

لذلك تدعو الجمعية كلّ الفنّانين الرّاغبين في المشاركة إيداع أعمالهم بمقر الجمعية: برج القلال، مرفقة باستمارة تحدد التقنيات والأحجام والعناوين والثمن وسيرة ذاتيّة لا تتجاوز الخمس أسطر.

مهرجان قابس سينما وفن يفتح مسابقة صور موضوعها "الصورة بين البناء والهدم"

أطلق مهرجان قابس سينما فن دعوة موجهة لكل المصورين المحترفين والهواة من تونسيين وأجانب لتقديم صور لإستخدامها في المعلقة الرسمية للدورة الرابعة.وتأتي الصور حول موضوع "الصورة بين البناء والهدم"

وستنظر لجنة فنية في الصور المرسلة وستمنح الصور الثلاثة الفائزة فرصة العرض خلال فعاليات المهرجان كما يتحصل الفائزون الثلاث على جوائز مالية على النحو التالي:

الجائزة الأولى: 1000 دينار

الجائزة الثانية: 700 دينار

الجائزة الثالثة: 400 دينار

ويمكن للصورة الفائزة بالمرتبة الأولى أن تكون الهوية البصرية الرسمية للمهرجان في دورته الرابعة وذلك في صورة إقرار الهيئة الفنية للمهرجان بتوافق تصورها مع هوية قابس سينما فن.

هذه الصورة المختارة وهي أساسية في عملية التواصل بين المنظمين وجميع المشاركين سيتم اعتمادها في مختلف الوسائط المطبوعة والرقمية الخاصة بالمهرجان من الملف الصحفي، المنشورات، الأفيشات، اللافتات، الصحافة المكتوبة والسمعية البصرية، مواقع الانترنات والتواصل الاجتماعي وغيرها.

فضاء الإبداع
قصص

الحلم

عمر السعيدي

رأيتني في مدينة عربية، متاخمة لحدودنا الغربية. الكتابات واللافتات والعلامات وواجهات المحلات تشي بذلك. مدينة تذكرك تضاريسها بمدينتي طبرقة وعين دراهم. المدينة مندسّة في الجبل في غير تطاول ولا انبساط كبير. ساحاتها دائرية تتوسّطها مغارس الزهور والنباتات الخضراء الغضة. بها أنهج شاسعة ونظيفة تكتظ بخلق كثير . سحنات أهلها قمحية ، تميل إلى السمرة الخفيفة أحيانا. تنطبع على وجوههم الصحة الموفورة ورغد العيش. علمت من القوم أنني بارض مصر وأنني أتنقل في مدينة بالصعيد وأتحادث مع قوم كأنهم أهلي في قرى ومدن الشمال الغربي التونسي. أتنقل دون خوف أو غربة. وسعادة وشعور داخلي بالراحة يغمراني.

هنا السكان مهتمون بالثقافة. يتقاطرون في أفواج على قصر الثقافة كما يسمونه هناك. القصرُ مُشيِّد على ربوة في الجهة الشرقية من المدينة في غير استقلال عن بقيّة معالمها الفنية الأخرى.

وجدتني في قاعة عرض شاسعة بديكوراتها الجميلة وفخامتها الجالبة للنظر . كنت جالسا في مقدمة القاعة مع نفر قليل . كان الجمهور قليلا في بادئ الأمر فاعتقدت أنني ربما كنت من أوائل الرواد الذين التحقوا بالقاعة وأن العرض لم يحن وقته بعد. بيني وبين من يجلس ورائي مقاعد عديدة شاغرة.

نظرت إلى الرّكح نصف الدائري الشاسع فتبينت لي كراس فخمة لا يحتلها أشخاص حقيقيون بقدر ما يحمل الواحد منها صورة من صور زعماء مصر الحديثة.

على الكرسي الأول تنتصب صورة الزعيم جمال عبد الناصر وعلى الكرسي الثاني تنتصب صورة منور السادات وعلى الثالثة صورة حسني مبارك . بعدها وُضع تابوتٌ صغير يحوي جثة حديثة مازال الكفن الأبيض يلفها. على مقربة من الجثة وعلى سرير خشبي بلا جوانب يرقد شيخ مسن له مكانة مهمة في المجتمع .يُسأل عن أمور لم أعلمها ولا التقطتها أذناي. فيجيب بصوت واهن مثقل بالسنين. بعده مباشرة يجلس رئيس مصر الحالي ناظرا إلى جمهور غصّ به المسرح متأهِّبا ليخطب في الناس.

لم أكن راضيا ساعتها عن هذا الشيخ الذي يتحدث بصعوبة إلى القوم. بل رأيت أن الاهتمام المفرط الذي يولونه لهذا الشيخ شيء لا يليق بهم. وأن عليهم أن لا يربطوا مصيرهم بكلمات واهنة يصرّح بها شيخ على فراش الموت، مما جعلني أقف وأخطب فيهم قائلا: ما هكذا تنحتون مصائركم يا أهل مصر!

كنت غاضبا حقا، لأنني أعرف أن أهل مصر مجبولون على الفصاحة والخطابة. أما من يجلس مباشرة على كرسي فخم بعد الشيخ فلم يجلب اهتمامي قط.

واستيقظت.. تساءلت وأنا أراجع الحلم، لم أتنقل في ماضي مصر وحده؟ أو لم لم أجدني إلا هناك ؟وهل أن شّعبها الطيب لا ينتظر المدد والحكمة من غير أوليائه ؟

حارسة الجدار

منى الماجري

سأحدثكم عن الشجرة المتدلية على الشرفة، قد تكون متدلية من عمري، أأقول إنها عتيقة، قد أظلم ماتبقى من خضرة العود، هي صديقة وكفى!

في الحقيقة لا تحفل الصداقات الجميلة بالبدايات ولا برشم المنتهى هي الصداقة وكفى. اشتريتها وهي صغيرة وأنا، أعتقد، أنني كنت كذلك، ذات صيف زرعتها في تربة أظن إنها محجرة وأنها بقيت إلى الآن كذلك. وطفقت أرويها مستعجلة النمو في الصباح وعند المساء، وكان أن حرنت، لم تألف التربة ولم تلن وانقبض رحمها فلم تمن بعرف واحد على مدى سنوات ولم أيأس، كنت أوجه الماء إلى العروق مباشرة وأخاطبها في سري، أنت لا تعرفينني، أنا إذا قررت أن أزرع نبتة فلا بد لها أن تزهر كما تقول علية العظيمة "فإما حياة وإما فلا"..

وكانت لا تبالي يمتلئ جوفها بالماء ولا يعترف عودها بالرواء بل كانت كما لو أنها تنصحني في سخرية باقتلاعها وتعويضها بنبتة أخرى وكانت لا تعلم أنه من شيمتي الصبر على الجحود، وبقيت أرويها، لم أكل ولم أمل بل اعتبرت ذلك جزءا من روتين الحياة الصيفية، من لم يشتد عوده علينا له بالرواء.

وطالت الرحلة وغادرت البيت لسنوات، كنت دخلت زمن الطواف. كانت كعبتنا في الأرض الحارة طورا وفي الأرض الباردة طورا آخر وأثناء ذلك غفلت عن تفاصيل كثيرة تحتاج إلي، منها وجبة الماء التي كنت أعطيها لهذه الشجرة، ثم عدت وحططنا الرحال.

كانت أشياء كثيرة قد تغيرت في ،فينا ،كبرت وتشتت الجهد بين البيوت الوافدة والغرف المغلقة وكان أن كبرت هذه الشجرة، كبرت كثيرا وتسامقت أغصانها، وامتد فيؤها على جدار الشرفة، في غيابي تولت هذه الشرف أمرها بنفسها وعندما تراجعت، استوعبت أنها صاحبة البيت وحارسة الجدار وأنه عليها أن تكبر وتعمر البيت وجعلت من الحجارة متوسدا لعروقها ومراحا لها رغم شح الماء والغبار والمقص لما خاطبتها مستغربة معجبة،كيف فعلت؟

تدلت خصلة منها على وجهي وقالت بعض النبات يخنقه كثير الماء، بعض النبات لا يينع إلا على صخر وغربة ويكون مصدرا لأغلى العطور العالمية...

حديث العودة

بلقيس خليفة

عقلت كوفيتي جيدا مخافة ضياع الهوية ووضعت في جيبي مفتاحي الثقيل الذي ورثته عن جدي وخرجت أبحث عن النهاية.

رأيت الراوي عند منحنى الحكاية يدون بعض الأرقام ، أسرعت نحوه أسأله: "ما النهاية؟" ، ضحك قليلا ثم مشى صامتا.

تبعته، بدت الدروب متشعبة أشبه بمتاهة ، خفت أن أضيع طريق العودة فسألت الراوي من جديد: "كيف النهاية؟" ضحك قليلا واستمر بالمسير.

سرت وراءه ثم إلى جواره ثم أمامه ، حاولت إيقافه لكنه ظل يمشي ...

رأى نهرا فوقف عنده، جلس على حافة النهر فجلست ، أدلى بساقيه في الماء فاغتنمت الفرصة للسؤال :"أين النهاية؟" ، ضحك قليلا ثم غطس في الماء ، خشيت الغرق فلم أغطس معه وبقيت أنتظره عند الحافة وأطال الغطس فأطلت المكوث حتى أطل برأسه من جديد .

نزعت عني ثيابي واستعددت للغطس قلت إما أموت أو أجد جوابا للسؤال ، فخرج فجأة واستلقى على الحافة يلهث ، أمهلته حتى استراح ثم سألته :"متى النهاية؟"، فضحك قليلا ثم تمطى ووقف ،

قلت لعله لم يفهم.. فاستبدلت السؤال بغيره : "هل سنجني البرتقال من جديد ؟" ، ضحك قليلا، ثم استدار نحو الطريق ومشى يقطر ماء ، فمشيت وراءه ثم إلى جانبه ثم أمامه حتى وصل إلى مكان غريب فيه خلق كثير ، كل يسير في اتجاه ، شجعتني ابتسامة أحدهم على السؤال ، فقلت :"من أنتم وماذا تفعلون؟"

_ "نحن شخصيات ثانوية في الحكاية كنا أبطالا وشخصيات رئيسية فلما تخلى عنا الكاتب أهملنا الراوي فأضعنا المكان وغاب عنا الزمان ،نحن نبحث عن الراوي لنستعيد بطولتنا ونعيد تأطير الحكاية فهل رأيته؟"

خشيت أن أخبره فأضيع فرصتي الأخيرة في نيل جواب لسؤالي فأومأت بالسلب وانطلقت خلف الراوي من جديد ..

كان يشق طريقه دون أن ينظر إلى أحد . أمسكت بتلابيبه مخافة الضياع حتى خرجنا من الجموع وابتعدنا كثيرا .

وصلنا إلى مفترق طرق كثيرة فتوقف وتوقفت معه، سألته لاهثا : "متى نجني البرتقال من جديد؟" فضحك قليلا وصمت. قلت لعله لم يفهم بعد ...فأخذت نفسا عميقا واستجمعت ما بقي من قواي وقلت :"متى نعود؟"

استدار نحوي ونظر إلى وجهي لأول مرة ، تفرس في ملامحي ثم ضحك قليلا وصمت، أدخلت يدي في جيبي وأخرجت مفتاحي ثم أمسكت به من ذراعه وجعلت أهزه من كتفه وأنا أريه المفتاح وأردد بصوت كالعويل :"متى نعود ...؟متى نعود..؟ متى نعود...؟" فضحك كثيرا وأخرج من جيبه مفتاحا شبيها ثم استمر يضحك ودموعه تنساب على خديه.

الجهويات في تونس.. إلى أين؟

إسراء بن أحمد (تلميذة)

«من وراء البلايك» ... لا أخفي سرا ان قلت أنّ هذه العبارة أثارت غضبي و استيائي ، عبارة جهل و تخلّف، عبارة ابتزّت جميع سكان الجهات .. سكان الشمال الغربي ووسط البلاد و جنوبها .. عبارة سطت على مشاعرهم و عواطفهم ، بل هي عبارة جاد بها التاريخ الاجتماعي التونسي الذي لا يزال قائما على ثنائية «البلدي» و«البدوي»، عبارة تمييز قائم على عناصر محدّدة كاللهجة أو الجهة مثلا ..انّما هي احتقار للطبقات الأخرى ..احتقار لسكان المناطق المنسية و الأرياف ..احتقار شجّع على تنامي أكبر ظاهرة للعنف النفسي و هي «التنمر» الذي أصبح سائدا في العديد والعديد من المؤسسات التربوية والتعليمية خاصة في المدارس الابتدائية...

لا أخفي سرا ان قلت إنني لم أجد ردّا مقنعا لأجيب عن ذلك السؤال الذي لم يبرح خاطرتي..(ما معنى من وراء البلايك؟).. سوى أنها عبارة استُعمِلت لمحاولة زرع الفتنة بين الشعب التونسي ،خلق الجهويات و الترويج للعنصرية في حلّة عصرية ومن قام باستعمالها هو في الحقيقة سجين الكراهية و التحيز و ضيق الأفق ، من قام حتى بلفظها هو يسعى إلى اضطهاد غيره بغض النظر عن العرق أو اللون أو الجنس.

أنتريتي نبّار

حسن العكروت رائد السينما والتلفزيون

للأسبوع الثاني على التوالي أجد نفسي مجبرا على تخصيص بطاقة "أنتريتي نبّار" للحديث عن شخصية ثقافية مرموقة كان لها "باع وذراع" على الساحة الثقافيّة غادرتنا في صمت في المدّة الأخيرة لكنها ستبقى راسخة في ذهن أهل السينما والتلفزيون وأهل الثقافة عموما.

سأتحدث اليوم عن صديق جمعتني به مسيرة نضالية من أجل دعم السينما الوطنيّة والنهوض بها في فترة عصيبة كادت تعصف بالانتاج السينمائي في بلادنا وأعني الاستاذ حسن العكروت .

سي حسن هو أحد فرسان دولة الاستقلال عمل في مواقع متعدّدة وتحمّل مسؤوليات مختلفة... ساهم من موقعه في مرحلة التحرير الوطني وبناء دولة الإستقلال...هو أحد مؤسسي التلفزة الوطنيّة... كان أول مدير لها تحت تسمية مدير البرمجة لما كانت الاذاعة والتلفزة تشمل مديرا عاما ومديري برمجة واحد للإذاعة وآخر للتلفزة .

وكان السيد حسن العكروت قد تولى قبل ذلك ادارة العلاقات الخارجية لمؤسسة الإذاعة والتلفزة وساهم في إرساء علاقات شراكة وتعاون مع اذاعات وتلفزات عربية وأجنبية وخاصة مع ما كان يسمى بلدان أوروبا الشرقية وقاد مراحل انضمام التلفزة إلى عدد من الهياكل والتجمعات الإذاعية والتلفزية الإقليمية والدولية. لم يكن السيد حسن العكروت متخصصا في المجال حيث درس الهندسة الفلاحية وكان من مؤسسي الإتحاد العام لطلبة تونس في باريس وانضم إلى مؤسسة الإذاعة والتلفزة في عهد المرحوم البشير المهذبي أول مدير عام للمؤسسة بعد الإستقلال وسافر الى الولايات المتحدة لدراسة البرمجة التلفزية في فترة تكوينيّة بنحو سنة وكان يتقن اللغة الإنقليزية. وعاد ليكون في عهد المرحوم محمد مزالي مسؤولا عن البرمجة التلفزية وواحدا من مؤسسي التلفزة التونسية...

وفي أواخر السنوات السبعين من القرن الماضي تولى السيد حسن العكروت مهام الإدارة العامة للشركة التونسية للإنتاج والتنمية السينمائية (ساتباك) وترك فيها بصمة يذكرها السينمائيون حتى اليوم أدار خلالها عديد الدورات الناجحة لأيام قرطاج السينمائية... ثم اشتغل في مجال دراسته الجامعية وتحمل مسؤوليات في وزارة الفلاحة قبل أن يكون ممثل تونس في منظمة الأغذية والزراعة. كما كان السيد حسن العكروت من مؤسسي الجمعية التونسية للشبان والعلم.

جمعتني بسي حسن العكروت علاقة عمل وتشاور متواصل خلال فترة إشرافي على حركة نوادي السينما...كنا نلتقي لتنسيق المواقف في الصراع القائم بين أهل القطاع وسلطة الإشراف في فترة نهاية السبعينات وبداية الثمانينات من القرن الماضي للدفاع عن فتح ملف السينما وإقرار قوانين تنهض بالصناعة السينمائيّة بمختلف فروعها... كنا نلتقي شهريا في لجنة توريد الأفلام التي كان يرأسها وأقررنا تمشيّا يضمن ضخ نسبة مهمة من الأفلام الجيّدة تحت تسمية "فن وتجربة" مقابل السماح بتوريد أفلام تجارية بحتة...وكان يحلو لسي حسن مناداتي بـ " JEUNE HOMME" ملاحظا أنني أذكره بشبابه لما كان مناضلا في إتحاد الطلبة...وكان سي حسن يدعّمنا داخل حركة نوادي السينما بتمكيننا من برمجة أحدث الأفلام الجيدة والجادة على مدار السنة بأسعار زهيدة...

وكما عودتكم في بطاقات أنتريتي نبّار سأذكر بعض المواقف الطريفة التي جمعتني بسي حسن...ففي بداية الثمانينات حضرت مهرجان دمشق الدولي وكان سي حسن يرأس الوفد وفي حفل الإفتتاح دعاه المنشط للصعود الى الركح لإلقاء كلمة بإسم الوفد التونسي لكنه أصر على عدم ذكر لقب سي حسن..وعند إنتهاء الحفل توجهت لمدير المهرجان المرحوم "فتيح عقلة عرسان" لمعرفة سر عدم ذكر لقب سي حسن فضحك وقال:" يا منير لو نطق المنشط بلقب سي حسن في المباشر لتم قطع البث فكلمة عكروت في سوريا تعني ما تسمونه انتم في تونس كلمة طحّان...فهل يعقل أن ينطق المنشّط بهذه الكلمة المشينة في جهاز يدخل كل البيوت..." فضحكت وقلت له: "الغريب أن كلمة طحّان الرائجة عندكم في سوريا وتعني مهنة صاحب الطاحونة في تونس تفيد عندنا نفس المعنى لكلمة عكروت عندكم".

وأذكر أيضا حادثة تمت في فترة إدارة سي حسن العكروت مؤسسة "ساتباك" وكان بطلها السينمائي علي العبيدي الذي ألح وأصر على أن يلتقيه...فتم السماح له بالدخول فقدم نفسه كأستاذ سينما عائد من رومانيا وأطنب في الحديث عن نفسه وشهائده العلميّة...فطلب منه سي حسن أن يفصح عن السبب الرئيسي لمقابلته فأجاب علي العبيدي :" سي حسن نحب نخرج" وكان يقصد أن يقوم بإخراج أول أعماله السينمائية في تونس...لكن سي حسن بدهائه المعروف قام من مكانه وفتح الباب قائلا له" هذا إليّ بيك؟... تفضل سي علي أخرج"...

وأختم بواقعة المخرج الموريتاني الراحل محمد عبيد هندو وإتهامه بالتطبيع مع الصهيونية من خلال مشاركته بصوته في دبلجة فيلم "الهجوم على عنتيبي" ومطالبة هيئة المهرجان بطرده... فدعاني سي حسن لمكتبه صحبة فتيح عقلة عرسان من سوريا لإيجاد حل لهذا الإشكال فإقترحنا أن يعتذر المخرج في ندوة صحفية عن مشاركته في هذا الفيلم...فتبنى سي حسن الاقتراح وإعتذر محمد عبيد هندو في لقاء رسمي إنتظم بدار الثقافة إبن خلدون ...

رحم الله سيدي حسن العكروت وأسكنه فسيح جنانه .

طرائف الزّعيم (ج 193)

كيف حوّل الزعيم أحداث ساقية سيدي يوسف إلى إنتصار؟

أحيا يوم الثلاثاء الفارط الشعبان التونسي والجزائري، الذكرى الرابعة والستين لأحداث ساقية سيدي يوسف بولاية الكاف، التي جدت يوم 8 فيفري 1958، والتي راح ضحيتها عشرات من المواطنين الأبرياء من البلدين الشقيقين، نتيجة عدوان غاشم قام به المستعمر الفرنسي آنذاك على هذه القرية الحدودية، لمعاقبة تونس على مساندة الجزائر في كفاحها المسلح من أجل تحقيق الاستقلال والحرية.

هذه الحادثة حولها الزعيم إلى إنتصار سياسي باهر لتونس وللمقاومة الجزائرية.. وألقى خطابه الحماسي والتاريخي حيث قال :" أيها الشعب، فوجئنا اليوم بالحادث المريع الذي جرى في ساقية سيدي يوسف وهو حادث لم يكن له مثيل ولم يسبقه حادث بمثل هذه الفظاعة التي كان عليها.....فقد قدمت طائرات إلى ساقية سيدي يوسف وقذفتها وضواحيها بالقنابل مدة ما يقرب من ساعة. وحتى المدرسة الابتدائية والسوق فإنهما لم يعفيا وقد رجعت الطائرات سالمة وأصحابها يشعرون بانتصار وغنم لمجرد تهديمهم لقرية وتقتيلهم لما يربو عن مائة شخص بمن فيهم من نساء وأطفال وجميع هؤلاء القتلى تونسيون. وإن تقتيلهم بهذه الصورة لينبئ لا عن استهتار بالسيادة التونسية فحسب، بل وعن عدم اكتراث بالرأي العام العالمي.....

نعم إن هذا الحادث سيأتي بالكثير لفائدة تونس والقضية الجزائرية والشمال الإفريقي ...وقد اتخذنا إجراءات وأهمها منع العساكر الفرنسيين من مغادرة مراكزهم بدون رخصة....إن قضية جلاء الجيش الفرنسي يجب أن نبادر بها قبل كل قضية.....وأن معركة الجلاء ستشمل التراب التونسي كله بما فيه بنزرت."

وصرح المؤرخ الجزائري السيد رخيلة عشية الذكرى 64 لأحداث الساقية، أن هذه الأحداث هي "واحدة من أبرز جرائم ومجازر الاستعمار الفرنسي التي لن تسقط بالتقادم على غرار التجارب النووية بالجنوب الجزائري مبرزا أن هذه الأحداث "حققت نتائج عكسية لم يكن يتوقعها الاستعمار بدليل انها زادت من التفاعل والدعم التونسي للثورة التحريرية وعمقت أواصر التضامن والتلاحم بين الشعبين الجزائري والتونسي الذي يتواصل الى يومنا هذا في كل الظروف والأحوال".

وبعد أن أشار الى أن المجزرة التي قام خلالها الطيران الحربي للاستعمار الفرنسي بقصف سوق أسبوعي ومدرسة للأطفال "خرق من خلالها الاستعمار الفرنسي ميثاق الأمم المتحدة"،وأبرز أن من نتائجها أيضا رفع الدعم التونسي للقضية الجزائرية الذي تجلى في عدة صور منها "احتجاج الرئيس التونسي السابق الحبيب بورقيبة على هذه المجزرة بالأمم المتحدة" الى جانب "إعلان الأحزاب التونسية مواصلة دعمها للثورة التحريرية في مؤتمر طنجة المنعقد في أفريل 1958 " .

وعلى الصعيد الدبلوماسي, أوضح السيد رخيلة أن أحداث ساقية سيدي يوسف "ساهمت أيضا في تدويل القضية الجزائرية من خلال تنديد العديد من الدول بالأمم المتحدة بهذه المجزرة التي راح ضحيتها أبرياء من الشعبين الجزائري والتونسي بمن فيهم أطفال". كما ساهمت هذه الأحداث- مثلما قال- في "إبراز وبشكل لافت عدالة القضية الجزائرية ووحشية الاستعمار في وسائل الاعلام الدولية من خلال وفود الصحفيين الذين عاينوا مخلفات "جريمة بالقرية".

فنّ وفنّانون

تكريم "فاطمة بن سعيدان" في مهرجان الإسكندرية

إختارت الهيئة المديرة لمهرجان الإسكندرية للفيلم القصير، المنعقد هذه الأيام في دورته الثامنة أن تكرّم الممثلة التونسية فاطمة بن سعيدان بمنحها درع "هيباتيا" وذلك تكريما لمشوارها الفني الحافل في السينما والمسرح والتلفزة حيث قدمت من سنة 1987 إلى 2022، حوالي 47 عملا سينمائيا أغلبها في تونس إلى جانب أعمال في فرنسا والجزائر والمغرب ومصر. ومن أشهر أفلامها "الحلفاوين" 1990 و"صمت القصور" 1994 و"زيزو" 2016.

وأشارت إدارة المهرجان إلى أن الممثلة فاطمة بن سعيدان ساهمت بشكل فعال وكبير في صناعة الفيلم القصير والى أنها شاركت في العديد من الأفلام القصيرة منها فيلم "بلبل" وفيلم "حورية" الذي شارك في الدورة السادسة لمهرجان الإسكندرية للفيلم القصير.

جمال المداني في "حب الملوك"

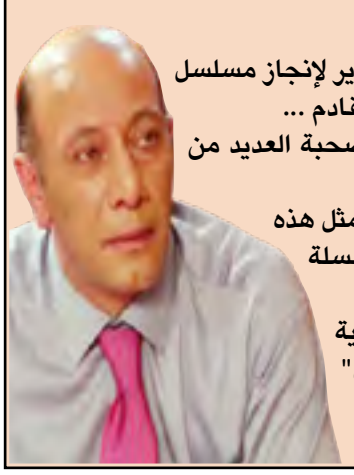

يدخل المخرج التونسي الشاب نصر الدين السهيلي إلى أستوديو التصوير لإنجاز مسلسل "حب الملوك" من انتاج تونسي جزائري سيتم بثه خلال شهر رمضان القادم ...

وعلمنا أن دور البطولة في هذا العمل أسند للممثل جمال المداني صحبة العديد من الوجوه التلفزية من تونس ومن الجزائر.

"حب الملوك" هو سلسلة هزلية جديدة تعيد جمال المداني للعمل في مثل هذه السلسلات الهزلية بعد تجربة ناجحة في سلسلتي "بنت أمها" 1 و2 والسلسلة الهزلية "الرئيس" عام 2016 في رمضان و"كان ما كانش" 2021...

يذكر أيضا ان في رصيد جمال المداني العديد من المسلسلات الدرامية نذكر منها حسابات وعقابات 2004 و"مكتوب" 2008 و"نجوم الليل" 2013

مناورة جديدة على بنك المنتخب

أعلنت الجامعة التونسية لكرة القدم مثلما هو معلوم أنها قررت تدعيم الإطار الفني للمنتخب الوطني التونسي بالثالوث علي بومنيجل وسليم بن عاشور وأيمن الجديدي.

وقالت الجامعة إنه تقرّر تدعيم الإطار الفني للمنتخب بالمدرب واللاعب الدولي السابق علي بومنيجل في خطة مدرب وطني مساعد وبالمدرب واللاعب الدولي السابق سليم بن عاشور في خطة مدرب وطني مساعد ثان.

كما تقرر في السياق ذاته تعزيز الإطار الفني باللاعب الدولي السابق لمنتخب الأواسط والمعد البدني الحالي لنادي لانس الفرنسي أيمن الجديدي في خطة معد بدني لتدعيم الإطار الفني المختص الموجود حاليا.

وتأتي هذه الخطوة لسدّ الشغور الحاصل بعد اعفاء الناخب الوطني المنذر كبير من مهامه بعد الاخفاق القاري وكذلك بعد انسحاب المدرّب المساعد عادل السليمي قبل انطلاق مغامرة الكان. ولا يعرف حقيقة هل أنّ هذا الاختيار سيكون صائبا أم انّ الجامعة ستواصل ابحارها في الاتجاه الخاطئ خاصة أنّ مباراتي الباراج المؤهلة لمونديال قطر على الابواب وهامش الخطأ ممنوع وقد يطير بكلّ الرؤوس في صورة حصول الاخفاق لا قدّر الله.

وبالتالي سوف تكون تركيبة الإطار الفني للمنتخب التونسي أكابر على النحو التالي :

– مدرب وطني : جلال القادري
– مدرب وطني مساعد : علي بومنيجل – سليم بن عاشور
– معد بدني : أيمن الجديدي (يكون متواجد مع المنتخب خلال التربصات والتظاهرات) – معد بدني : هشام غزية – معد بدني : محمد التونسي
– مدرب الحراس : الشاذلي المبروكي

تعزيز الاطار الفنّي للمنتخب كان أمرا متوقعا ومنتظرا ولكن الأسماء التي وصلت الى البنك لم تكن هي الخيار الاوّل في ذهن رئيس الجامعة وديع الجريء الذي حاول ربط قنوات اتصال مع مدربين اخرين ولكن لم تسر الامور مثلما أراد لعدّة اعتبارات. واعلان الجامعة عن هذا التعيين الرسمي لا يعني بالضرورة أنه نهائي وبات فبعض المصادر الموثوقة تشير الى أنّ قنوات الاتصال مازالت مفتوحة وأن فرضية حدوث تغيير أو تعديل أو تدعيم صلب الاطار الفنّي للمنتخب تبقى ورادة وبقوّة خاصة أنّ الجريء على يقين بأنّ مباراتي الباراج مسألة حياة أو موت بالنسبة له ولديمومة الجامعة وهو يوقن كذلك أنّ الإطار الفنّي الحالي وبتركيبته الحالية ليس في مستوى الانتظارات. وما يجعل من هذا الطرح قائم الذات وبقوّة هو التحركات الجانبية التي يقوم بها المدرّب السابق للمنتخب نبيل معلول والذي لن يتردّد لحظة في العودة لتدريب المنتخب في صورة عرض الأمر عليه.

نبيل معلول خسر نهاية الاسبوع الماضي مع فريقه نادي الكويت لقب كأس السوبر الكويتي أمام نادي العربي بضربات الجزاء وهذه الهزيمة قد تغيّر وضعية الرجل داخل النادي لذلك عاد الحديث بقوّة فرضية عودته للمنتخب خاصة أنّه يعرف جيّدا الطريق الى قلب الجريء وهذا ما يقوم به بعض أصدقائه في الوقت الحالي.

القادري يمارس صلاحياته

رغم كلّ ما يقال عن الطريقة التي وصل بها الناخب الوطني الجديد جلال القادري الى سدّة التسيير الفنّي على رأس المنتخب خاصة بعد إقالة «عرفه» المنذر كبيّر تجاهل الرجل كلّ الانتقادات وحملات التشكيك التي لاحقته وشرع رسميا في مباشرة مهامه على رأس المنتخب. القادري دخل سريعا في أجواء المهام الجديدة وواكب مباراة النجم الساحلي وشباب بلوزداد ثمّ حضر كذلك مباراة الترجي وغالاكسي البوتسواني وكانت النية واضحة لمعاينة بعض الاسماء التي قد تسجّل تواجدها في مباراة الباراج أمام المنتخب المالي الشهر القادم.

في السياق ذاته بدأ جلال القادري في ترميم البيت الداخلي وفي تجهيز العناوين الرئيسية للمرحلة القادمة ومنها بالخصوص قائمة المنتخب الوطني التي ستخوض غمار الباراج. مصادر موثوقة كشفت أن الناخب الوطني الجديد يفكّر في الاستنجاد ببعض الاسماء الجديدة مقابل الاستغناء عن بعض اللاعبين الذين ثبت افلاسهم الكروي خلال بطولة نهائيات أمم افريقيا الأخيرة. المصادر ذاتها تفيد بأنّ القادري تواصل مع سعد بقير لاعب أبها السعودي محاولا طمأنته بشأن مستقبله مع المنتخب خاصة أنّ اللاعب وقع الاعتماد عليه كعجلة خامسة سرعان ما يقع الاستغناء عنها قبل الرسميات. في السياق ذاته من المنتظر توجيه الدعوة لمرتضى بن وناس المحترف في البطولة التركية وكذلك وجدي كشريدة الذي سيعوّض حمزة المثلوثي في القائمة القادمة. كما يفكّر القادري في منح الفرصة لمعتز الزمزمي الذي يعيش فترة توهج في البطولة الفرنسية. من جانب آخر تشير كل المعطيات الى أنّ المهاجم السابق للترجي طه ياسين الخنيسي المحترف حاليا بفريق الكويت الكويتي سيكون هو الآخر ضمن القائمة الرسمية بحكم تواضع الأسماء الموجودة في الخط الأمامي للمنتخب.

بالنسبة للفرجاني ساسي فإنّ عودته شبه مستحيلة بما أنّ رئيس الجامعة رفع الفيتو في وجهه.

مراسلة جديدة عنوانها النقل التلفزي

الى حدّ اللحظة مازال ملف النقل التلفزي لمباريات بطولة الرابطة المحترفة الأولى لكرة القدم يثير الكثير من الجدل ذلك أنه منذ اعلان التلفزة الوطنية بتاريخ السبت 16 اكتوبر 2021 عدم نقلها مباريات الجولة الافتتاحية لبطولة الرابطة المحترفة الأولى لكرة القدم بسبب عدم توصلها لاتفاق مع الجامعة التونسية لكرة القدم بخصوص المستحقات المالية المتخلدة بذمهتا لم يكتب للبطولة في نسختها الحالية أن تنقل على القناتين الوطنيتين رغم مرور جولات عديدة.

التلفزة برّرت قرارها في ذلك الوقت بإنه "في اطار إنارة التلفزة التونسية للرأي العام وجمهور مشاهديها من محبّي رياضة كرة القدم، حول تعذّر بثّها وتغطيتها لمختلف المقابلات المدرجة بالمسابقات التي تنظّمها الجامعة التونسية لكرة القدم بما فيها الرابطة المحترفة الأولى ابتداء من اليوم السبت 16 أكتوبر 2021، مشيرة إلى محاولاتها المتكرّرة لمراجعة العلاقة التعاقدية مع الجامعة التونسية لكرة القدم بما يحفظ ديمومة نفاذ الجمهور الرياضي الوطني لمختلف المقابلات على قناتيها الوطنية الأولى والثانية ، وبما يحفظ حقوق التلفزة التونسية ومركزها القانوني في هذه العلاقة."

وأضافت أنها " لم تجد للأسف تجاوبا من الجامعة التونسية لكرة القدم بما يتعذر معه تـأمين نقل هذه المقابلات إلى حين رفع هذا الاشكال المبدئي حول المبادئ التي يجب ان تحكم هذه العلاقة التعاقدية، وحول جوهر حقوق المؤسسة ودوام حقوق مشاهديها من الجمهور الرياضي، الذي تبقى خدمته غاية المرفق و مقصده".

من جانبها تمسكت الجامعة بسلامة موقفها القانوني واعتبرت ان التلفزة تعمّدت الاخلال بتعهداتها وهو ما فتح الباب أمام قنوات جديدة لدخول سباق النقل على غرار قنوات الدوري والكأس القطرية التي توّلت منذ ذلك التاريخ نقل مباراتين من كل جولة. اضافة الى ذلك أبرمت الجامعة اتفاقا ثانيا مع القناة التلفزية الخاصة "بيّة تي في" يقضي بالتفويت في حقوق البثّ التلفزي لبطولة الرابطة المحترفة الأولى لكرة القدم. ونصّ الاتفاق على أنّ القناة المذكورة ستحصل على حقوق بث مباراتين من كلّ جولة مقابل مليوني دينار ولكن ذلك لم يحصل بالسيناريو المتفق عليه حيث قامت شركة الانتاج التي فازت بالصفقة بالتفويت في بعض المباريات لقناة حنبعل قبل ان يتوقّف العمل به بسبب توقّف البطولة لفسح المجال للمنتخب التونسي.

الجديد في هذا الملفّ هو أن مؤسسة التلفزة التونسية ممثلة في شخص رئيسها عواطف الدالي الصغروني راسلت الجامعة للنظر في إمكانية عقد اتفاق جديد بصيغة جديدة لنقل مباريات البطولة التي تعود للنشاط نهاية هذا الأسبوع بعد تعليق إضراب الأندية المطالبة بدورها بالحصول على مستحقاتها المالية من سلطة الاشراف. العقد المرتقب ينصّ على حصول الجامعة على قرابة 5 مليون دينار عوضا عن 7 مليارات كما نصّ على جدولة بقيّة المستحقات الخاصة بالعقد القديم. ومن المنتظر أن توافق الجامعة على عرض التلفزة الجديد خاصة انها لا تملك أيّة خيارات أخرى كما انّ الوضع السياسي المتغيّر في البلاد قد لا يجعل رئيس الجامعة أمام هامش واسع من الاختيار.

الشارع الرياضي 33

الصندوق الأسود (رياضة)

لعبة الأب والابن

كشفت بعض المصادر الصحفية المغربية عن عودة إدارة الرجاء البيضاوي المغربي لفتح صفحة المدرب التونسي فوزي البنزرتي للاشراف على مقاليد الأمور الفنية للفريق خلفا للمدرب الحالي مارك فيلموتس.

وذكرت المصادر ذاتها أن ساعات المدرب البلجيكي مارك فيلموتس أضحت معدودة على رأس العارضة الفنية للرجاء الرياضي، حيث تتجه إدارة النادي للتعاقد مع المدرب التونسي فوزي البنزرتي.

وسبق أن كان اسم البنزرتي مطروحا على طاولة الرجاء الرياضي مباشرة بعد انتخاب أنيس محفوظ رئيسا للنادي، قبل أن يتم الاستقرار على تعيين البلجيكي مارك فيلموتس لتعويض رحيل المدرب السابق لسعد الشابي جردة. وقاد المدرب التونسي فريق الرجاء الرياضي سنة 2013، حين خلف محمد فاخر على رأس العارضة الفنية للنادي، حيث ساهم في بلوغ "النسور" نهائي كأس العالم للأندية في العام ذاته أمام بايرن ميونيخ المتوج حينها باللقب.

من جانبه نفى عميد المدرّبين التونسيين كلّ الأخبار التي تتحدّث عن فرضية عودته للمغرب مؤكّدا أنه لم يتواصل اطلاقا مع مسؤولي الرجاء وبأنه مرتاح مع فريقه الحالي الاتحاد المنستيري ولن يغادره مهما كانت الاغراءات. وكلام البنزرتي يحتمل كعادته عديد القراءات فالرجل كثيرا ما كذّب نفسه بنفسه وتجاربه السابقة تؤكّد أنه لن يتردد لحظة في تغيير الألوان في صورة وصول عرض مناسب.

وإذا كان البنزرتي عبّر صراحة عن رغبته في البقاء مع الاتحاد ونفى كلّ الكلام الذي يتحدث عن عرض الرجاء فإنّ هناك من يتحرّك عكس هذا الاتجاه تماما والحديث هنا عن ابن البنزرتي الذي يعتبر وكيل اعماله والناطق الرسمي باسمه. نجل البنزرتي يتواصل بالفعل مع مسؤولي الرجاء وقد ينجح في جلب عرض كبير يليق باسم والده وبتاريخه التدريبي الحافل خاصة في المغرب لذلك فإنّ فرضية تغيير «العجالي» مازالت قائمة الذات مرّة أخرى رغم نفي البنزرتي.

مأزق حقيقي

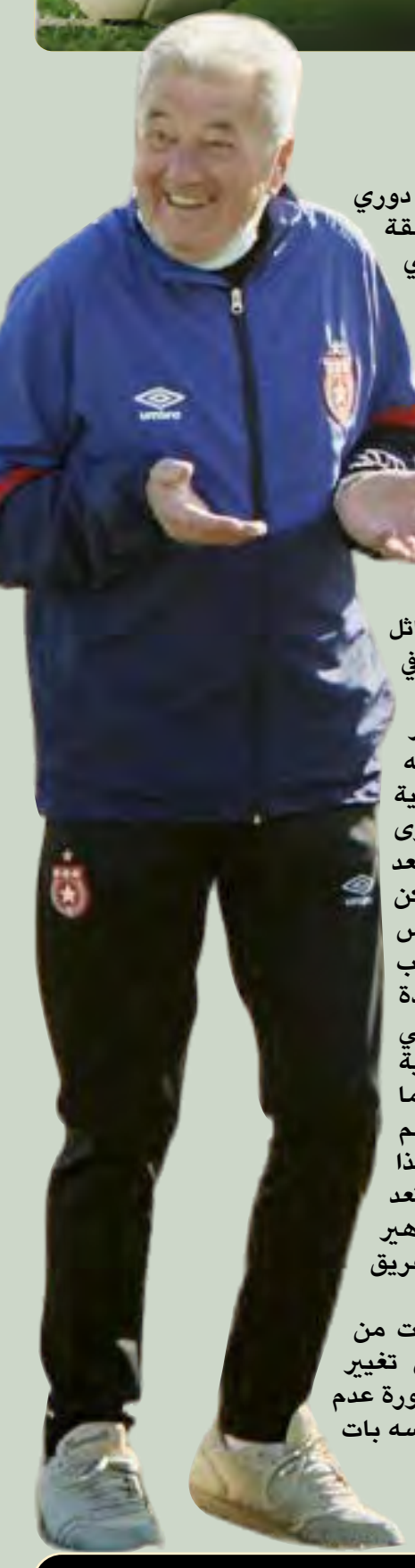

الخرجة الافريقية للنجم الرياضي الساحلي في دوري مجموعات كأس رابطة أبطال افريقيا لم تكن موفقة بالمرة فالفريق ظهر بوجه شاحب وبمردود فردي وجماعي أقلّ من المتوسط ولولا خبرة حارسه أيمن البلبولي لتكبّد الفريق هزيمة داخل قواعده أمام منافس جدّي على احدى البطاقتين المؤهلتين لربع نهائي المسابقة ونعني فريق شباب بلوزداد.

مدرّب الفريق «الجنرال الفرنسي» روجي لومار علّق على الظهور الاوّل للفريق في المسابقة الافريقية بأن دوري أبطال إفريقيا لا يعتبر أولوية مطلقة للنجم الساحلي مضيفا ان كلّ تركيز الفريق منصب حاليا على البطولة وهو الكلام الذي خلق كثيرا من الجدل في صفوف أحباء الفريق الذين لم يتعودوا على سماع كلام مماثل عن فريقهم الباحث دائما عن مقعد تحت الشمس في مسابقة الاميرة الافريقية.

وإذا كانت تبريرات لومار مفهومة رغم انها غير منطقية بحكم أنّ الفريق لا يبدو في أفضل حالاته ولم يتعاف بالشكل المطلوب من مخلفات البداية الكارثية في سباق البطولة فإنّ هناك حقيقة أخرى أكبر وأعمق ولا تقبل الدحض وهي ان الجنرال لم يعد يقو على التدريب. الأمر ليس تجنيا على الرجل ولكن هو حقيقة ثابتة فالعارفون والمقربون من كواليس النجم يدركون جيدا ان لومار لم يعد يقو على التدريب وحالته الصحية والذهنية لم تعد تسمح له بقيادة فريق في حجم وعراقة النجم. لومار بات يكتفي ببعض الجمل والنصائح خلال الحصص التدريبية وهو ما عطّل من عودة الفريق لمستواه الطبيعي كما أنّ الرجل لم يعد يقو على قراءة المباريات بل إنه لم يعد قادرا على الوقوف طويلا على حافة الميدان وهذا أمر طبيعي فهو على مشارف الثمانين وصحته لم تعد كما كانت وهذا الكلام يتناقله شق واسع من الجماهير التي لم تعد تخفي مخاوفها من تواصل سقوط الفريق وتراجعه في صورة تواصل الحال كما هو عليه.

مصادر موثوقة تؤكّد أنّ الهيئة وبعد ان تيقّنت من حقيقة الوضعية الصحية لمدربها قد تجبر على تغيير منصب لومار وتحويله نحو خطة استشارية في صورة عدم استقالته أو انسحابه طواعية خاصة أنّ لومار نفسه بات على يقين بأنه لم يعد قادرا على تحمّل المسؤولية.

الشارع المغاربي

تصدر عن شركة «كوثر العالمية للاتصال»
شركة محدودة المسؤولية

المؤسسة والمديرة المسؤولة
كوثر زنطور

مستشاران لدى إدارة التحرير برتبة رئيس تحرير :
معز زيّود - الحبيب القيزاني

كتّاب افتتاحيات :
الصادق بلعيد - حمادي بن جاءبالله - عز الدين سعيدان - نائلة السليني - ألفة يوسف - خالد عبيد - جمال الدين العويديدي - رافع الطبيب - أحمد بن مصطفى - فوزي البدوي - نادر الحمامي - نهلة عنان - أنس الشابي - أيمن البوغانمي

مستشارو التحرير :
المنصف السليطي - مسعود رمضاني - أنس الشابي - أسعد جمعة - كريم الميساوي - السيدة السالمية - عامر الجريدي

الشارع التلفزي والاذاعي:
منير الفلّاح

رئيس قسم الرياضة :
العربي الوسلاتي

الاستشارات التاريخية :
د.محمد لطفي الشايبي

الريبورتاجات :
محمد الجلالي

التحرير :
عواطف البلدي - أنور الشعافي- منى المساكني - صلاح بوزيان - أماني الخديمي - خالد النوري - تميم أولاد سعد - كريمة السعداوي - نائلة الشقراوي - حازم الشيخاوي - يوسف مارس

مراسل قار بأوروبا :
جمال بن جميع

المدير الفنّي :
فيصل بن البشير

المستشار الرقمي:
بهاء الباهي

مدقق لغوي:
نور الدين حميدي

مكلفة بمهمة لدى إدارة التحرير:
هيفاء بن محمد

العنوان :
45 شارع آلان سافاري - 1002 تونس
الهاتف : 034 063 36 الفاكس : 065 890 71
www.acharaa.com
contact@acharaa.com

المطبعة: BETA
i@beta.com.tn

PEUGEOT LANDTREK الجديدة

من جديد في كل ثنية

JUSQU'À 1 TONNE EN CHARGE UTILE - 4 ROUES MOTRICES - SIÈGES MODULABLES

PEUGEOT RECOMMANDE TOTAL

STAFIM et son réseau :

Rue du Lac Léman - Les Berges du Lac - 1053 Tunis
Tél. : 71860444 – 70019800